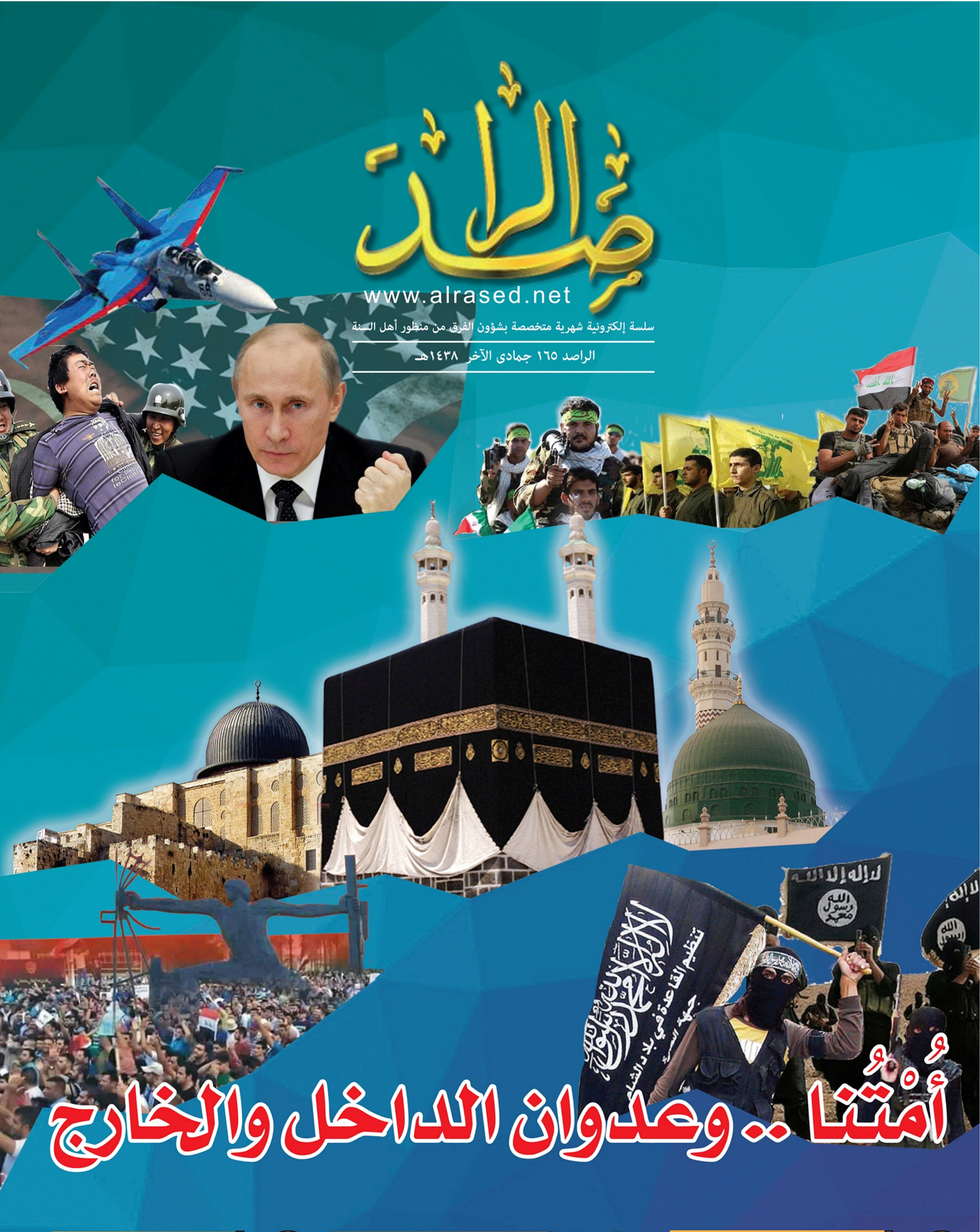

الراصد
www.alrased.net
سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
الراصد ١٦٥ جمادى الآخر ١٤٣٨هـ
أُمّتُنا .. وعدوان الداخل والخارج

## المحتويات

### فاتحة القول



### فرق ومذاهب



### سطور من الذاكرة



### دراســات



### كتاب الشهر



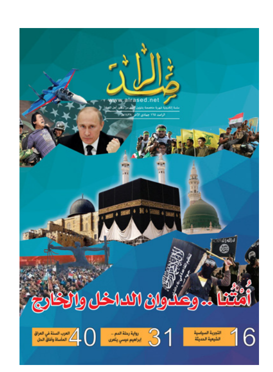
### قالوا



### جولة الصحافة







رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي
تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٥)
جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

## أمتنا وعدوان الداخل والخارج

**تعيش أمتنا في هذه المرحلة الصعبة منعطفاً كبيراً،** فالقوى العالمية في حالة تخبط؛ فهذه أمريكا لا ندري هل اقترب موعد أفول نجمها مع تولي ترامب القيادة، أم أن ما يحدث هو تجديد لشبابها وقوّتها؟ وهذا الاتحاد الأوربي يعاني المشاكل والتفكك بانسحاب بريطانيا منه، ويعاني من صعود القوى اليمينية المتطرفة عبر الانتخابات الديمقراطية كما حدث مع هتلر وموسيليني من قبل!

**أما روسيا بوتين** فهي تستعيد عدوان الدب الروسي الشيوعي على جيرانه مطلع القرن الماضي ولكن باسم القومية الروسية هذه المرة!

**والصين تزال تزحف وتتمدد اقتصاديا** على المنهج الرأسمالي بينما تدار سياسيا بالطريقة الشيوعية الديكتاتورية!

**والجامع المشترك بين هذه القوى العالمية المتخبطة والمتصارعة** فيما بينها أننا نحن المسلمين الضحية لصراعهم وتخبطهم، فالمسلمون في هذه الدول الكبرى يعانون من الاحتلال والاضطهاد والظلم خاصة في روسيا والصين، أما في أمريكا وأوربا فهم يعانون تفشي حالات العدوان والعنصرية عليهم، ففي أوربا وقعت سنة ٢٠١٥ وحدها ٧٠٠٠ حالة اعتداء على المسلمين! وبالمقابل دشن ترامب عهده بقرارات مجحفة بحق المسلمين.

**ولم يسلم المسلمون في خارج هذه الدول من تخبط وصراع هذه القوى،** فالطائرات الروسية لا تزال تقصف في درعا وحماة برغم تعهداتها وضماناتها في مؤتمر الأستانة لرعاية وقف إطلاق النار، ولا يزال التراخي الأمريكي والأوربي يمنح الطاغية بشار الأسد قبلة الحياة والبقاء والمشاركة في مفاوضات السلام الرابعة في جنيف.

**ولم يقف الأمر عند ذلك بل شهدنا تواطؤ إدارة أوباما الأمريكية مع إيران لعقد صفقة ذهبية على حساب المسلمين في المنطقة،** سمح من خلالها لإيران بالتغول والعدوان والإجرام، وساهم الروس مع الإيرانيين بتنفيذ المجازر البشعة والإبادات الجماعية والقصف الأعمى المجنون ضد الأبرياء من الأطفال والنساء والرجال.

**وكعادة اليهود المجرمين فقد استغلوا ما يجري لجني أكبر قدر من المكاسب،** فزادوا من وتيرة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، وتمادوا في الاعتداء على المسجد الأقصى والقدس، ونشر الأكاذيب بأنهم يواجهون الإرهاب والتطرف، ولذلك فهم مضطرون لترسيخ يهودية الدولة وإجبار الفلسطينيين من عرب الـ ٤٨ على التماهي مع الهوية اليهودية وإلا فمصيرهم الطرد من أرضهم برغم جنسيتهم الإسرائيلية، فقد انتهى زمن الدولة العلمانية والليبرالية والحرية، وجاء زمن الدولة اليهودية!

**وفي ظل هذه الحالة من التخبط والفوضى تجرأت دول تافهة كبورما البوذية لشن حرب تطهير وإبادة دينية وطائفية بحق المسلمين الأركان فيها،** فقتلوا مئات الآلاف وشردوا الملايين، وأيضا شنت دولة أفريقيا الوسطى حربا ظالمة مجرمة على المسلمين فيها، ولم تلقَ هذه الجرائم حسابا وعقابا حقيقيا مما زاد في طغيانهم وإجرامهم ضد المسلمين الضعفاء.

**وحالة التخبط والصراع هذه بين هذه القوى الكبرى** لا يعرف أحد ما قد تمتد إليه من زمان أو ما قد تتطور إليه من صراع مفتوح أو محدود، وهل ستكون فيما بينهم أم ستجري على أرضنا وتسير بسببها دماء أهلنا؟

**وهذا كله يستوجب من الأمة العودة لربها ودينها وتجعلهما القدوة والبوصلة التي تسير من خلفها،** فإن هؤلاء ما تسلطوا على أمتنا إلا بسبب انتشار المعاصي والمنكرات والمفاسد من العامة والخاصة والساسة، وتركنا الأخذ بالأسباب الشرعية والكونية، وهذا الضعف والهوان الذي تعيشه الأمة من أسبابه تقصير أهل العلم والدعوة عن القيام بواجبهم الصحيح، لأنهم كما قال الشاعر:

يا علماء الدين يا ملح البلد ... من يصلح الملح إذا الملح فسد

**والمنكرات والمعاصي التي عوقبنا عليها وقصّر العلماء في دفعها لا تقتصر على الفواحش الأخلاقية والمظالم السياسية والمفاسد الاقتصادية** بل أيضا انتشار البدع والفرق الضالة وأهمها الشيعة والخوارج، ومنها الأحباش والبهائية والقاديانية وغيرها، ولعل أثر هذه الفرق فى إضعاف الأمة وهوانها أكبر من أثر المنكرات الأخرى، كما يلي:

١- هذه الفرق الضالة تنخر في جسد الأمة من داخلها فتحرف دينها وتضعف صلتها بربها حيث تضع الوسائط بين الأمة وبين الله عز وجل باسم الإمامة وباسم الأولياء وباسم الشهداء.

٢- هذه الفرق تحارب البقية من العلماء الصادقين فتسجنهم أو تقتلهم مما يزيد في جهالة الأمة وضياعها.

٣- هذه الفرق تتحالف مع أعداء الأمة الخارجيين عبر التاريخ، وتحالف الشيعة والروس اليوم ضد أهل سوريا أكبر دليل.

٤- هذه الفرق تقتل المسلمين أكثر مما تقتل من أعداء الأمة، فهل توجد مقارنة أصلا بين قتلى إيران وداعش من الكفار وكم قتلا من المسلمين؟

**وبجانب عداوة هذه الفرق الضالة للأمة الإسلامية من** داخلها هناك التيار العلماني المتطرف الذي يشمل أفرادا وقوى من أصول مسلمة، وأفرادا وقوى من أقليات غير مسلمة، والتي تجد في حالة التخبط العالمية والتهديد الإرهابي الداعشي فرصة ثمينة للمجاهرة بعداوة الإسلام والطعن فيه والمطالبة بالعلمانية الفجة والصريحة، وبعضهم أقل وقاحة فيغلفها باسم المدنية والتعايش.

**هذه هي حالة الأمة اليوم:** عدوان من خارجها ومكر وخيانة من داخلها، وقوى الخارج تدعم بشكل مباشر وغير مباشر قوى العدوان الداخلية ولو تعارضت مع أيدلوجيتها، لأن في دعمها إضعافا واستنزافا لقوة الأمة وإشغالها عن بناء قوتها واستعادة مجدها.

**منذ أن انطلقت «الراصد» كانت الرؤية واضحة بأن الخارج يوظف الفرق الضالة لمصلحته ضد الأمة**، واليوم نجد أن هذا التوظيف يتم تكثيفه ومضاعفته، وإذا كان قبل عقد ونصف التركيز على الشيعة فإنه في هذه المرحلة تم إضافة الخوارج لهذا التوظيف وذلك من قبل الشيعة ومن قبل الخارج الغرب والشرق، لإبقاء الساحة الإسلامية مشتعلة.

**وهذا تذكير لما كتبناه في افتتاحية العدد الأول قبل ١٤ عاما:**

**«أيها القارئ الكريم يسعدنا أن نضع بين يديك جهداً نراه ضرورياً في رصد حركة الفرق والطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والمسلمين**، والداعي لهذا ما تشهده أوضاع المسلمين اليوم في كافة أرجاء الأرض من انبعاثٍ لفكر هذه الطوائف أولاً، وتشكيل هذه الفرق والطوائف دولاً وقوى سياسية فاعلة، وأهم من هذا أنها بدأت بالتسرب إلى أهل السنة والمسلمين وافتراس الكثيرين من أبنائهم وقادتهم.

**إن الصراع في عالمنا اليوم هو بين القوى المتدينة**، سواء قلنا بصراع الحضارات أم لم نقل، فإن سيطرة القوى المتدينة ظاهرة لكل مراقب، وتعمل هذه العقائد على فرض المواقف والسياسات على العديد من الدول والقوى بصرف النظر عن صحة وصواب هذه الأفكار.

**وإن أعداءنا، واليهود تحديداً منهم، ومن القديم حاربونا من خلال إنشاء ورعاية وتوجيه الفرق الضالة والمبتدعة والتحالف معها**، واليوم الساحة مهيأة أكثر من أي وقت مضى لرعاية وإنشاء ودعم العديد من القوى البدعية والطائفية لتكون سلاحًا بيد أعداء الإسلام لكن باسم الإسلام!

**وإن نظرة على خارطة العالم الإسلامي** مع وضع أسماء القوى الطائفية والفرقية المؤثرة فيها ليوضح بشكل لا نقاش فيه هذا الخطر الزاحف من داخلنا دون أن يعيره الكثير من المسلمين الانتباه الكافي.

**ومن أجل هذا كانت هذه المجلة التي تهدف إلى تبصير أهل الإسلام بخطر الفرق والطوائف على مستقبل الدعوة الإسلامية وبلادهم**، وتوضح لهم حقيقة الأدوار التي يقومون بها مع التحذير من الخطط القادمة وكيفية العمل على مقاومتها» . أ.هـ

**وللأسف لم تجد تحذيراتنا القديمة من الخطر الشيعي ما كنا نرجوه من يقظة مبكرة**، وأن نتمكن من منع وقوع الكوارث التي نعيشها اليوم بسبب تمدد الفكر الشيعي الطائفي التكفيري والإرهابي في غالب الدول الإسلامية ونجاحه بإنشاء ميلشيات شيعية إرهابية طائفية من مختلف الدول والأقطار ساهمت في الحرب الطائفية على المسلمين في سوريا.

**ونرجو اليوم أن تجد تحذيراتنا من استمرار الخطر الشيعي الإرهابي الطائفي آذانا واعية**، فالخطر الشيعي حتى لو هُزم في سوريا واليمن والعراق فإنه لن يزول حتى يزول نظام الملالي أولا، ثم تفكيك شبكاته في مختلف التجمعات الشيعية في العالم، ثم وجود وعي مقاوم حقيقي يجتث بقايا الأفكار الطائفية والإرهابية بمختلف صورها العسكرية والسياسية والمدنية.

**إن إيران اليوم إذا صدقت إدارة ترامب في تحجيمها ستنتقل للسيناريو الآخر وهو سيناريو التعايش والتفاهم على طريقة إسرائيل في مسيرة السلام**، «ما استوليتُ عليه فهو لي، ونتفاوض على ما عندك»! ثم لا شيء كما يعلن ويصرح سادة السلطة الفلسطينية! وقد سبق أن انخدع البعض بانفتاح خاتمي واعتدال روحاني والتي كانت فرصة للملالي من زرع الخلايا النائمة وتجييش الشيعة في العالم خلفهم.

**ونرجو أن تجد تحذيراتنا بخطر فكر الغلو والخوارج المتمثل في داعش والقاعدة وأخواتها آذانا صاغية**، فإنهم اليوم أداة في يد الشيعة وفي يد الروس والغرب، من أجل المزيد من إضعاف أمتنا وتشتيتها وتنفيذ ما يعجزون عن تنفيذه بأنفسهم.

**ولفهم خطر هذه الجماعات المتطرفة والخارجية يكفي أن نتأمل هذين المثالين:** تكرار هجمات داعش على تركيا دون إيران، برغم أن داعش تزعم أنها تقاتل إيران وتركيا في سوريا! وتوعد داعش حركة حماس بالقتال قبل قتال اليهود وإسرائيل حين يصلون غزة!

**إن ظاهرة الغلو المعاصر هي استمرار لظاهرة الخوارج الأولين في خطوطها العامة**، والتنبه لها ولخطورتها من أول درجات الوعي اليوم، والعمل على مقاومتها بكل وضوح وقوة واجب شرعي من جهة، وسيجنب الأمة أكلافا باهظة في المستقبل، قد لا تقل عما دفعته الأمة اليوم من دماء وأعراض وأموال بسبب التهاون تجاه الخطر الشيعي الإرهابي الطائفي، لسذاجة بعض العلماء والمثقفين والجماعات الإسلامية وانخداعهم بشعارات التقريب والوحدة مع الشيعة!

**والشباب الغاضب اليوم لهوان أمته وعدوان الفجار عليها إذا كرر الخطأ الجسيم بالتهاون في شأن الخوارج والغلاة بالتحالف معهم ضد الطغيان والظلم**، فلن ينفع الأمة بشيء بل سيمكن للأعداء من رقاب الأبرياء، ومن بقي مخلصا سيكون ضحية لسذاجته وغيرته الجاهلة!

فالحذر الحذر.

# أقطاب العلمانية
## طارق منينة

**تباشر الراصد على حلقات نشر الطبعة الجديدة من كتاب الأستاذ الباحث طارق منينة "أقطاب العلمانية"، وهو الكتاب الذي سدّ ثغرة كبيرة في المكتبة العربية قديماً، وتحوي هذه الطبعة مزيدا من الإضافات والفوائد.**

### مقدمة الطبعة الجديدة

إن الحاجة لمثل هذا الكتاب، بعد الثورات العربية، أصبحت شديدة وملحّة، في وجه طغيان الخطاب العلماني الجامح والفاقد للعقل والذي اشتاط غضبا وامتلأ غيظا وحنقا، بمجرد شعورهم بقرب سيادة الوعي العلمي الإسلامي على مواقع السيادة! وقد ارتأينا من قبل أن نخوض المعركة الفكرية بواقعية وميدانية ولغة سهلة مفهومة، فلم نجعل لبحثنا طابعاً انعزالياً أو نخبويا بعيداً عن أوضاع الأمة وما يجري فيها، خصوصاً وقد رأينا – منذ عقود- كيف دعمت العلمانية القمعية، ورؤوسها الكبيرة، الاستبداد بكل صوره، لتمرير الأجندات التخريبية والتحريضية، وعلى الرغم من أن الجماهير المسلمة لم تلقِ بالاً لأصحاب تلك العلمانية المتسللة، بل لم تعرفهم أصلا، غير أن أولئك العلمانيين يتسللون من الحدائق الخلفية (الشاشة، الأفلام، الروايات، السياسة، التعليم، المؤتمرات، والكتب)، محاولين التأثير من ألطف الوسائل وأشدها تأثيرا.

ولقد ظهرت كتابات علمانية بعد الثورات، أي بعد صدور طبعتنا الأولى لهذا الكتاب بأكثر من عشر سنوات، راحت تفسر هذه الثورات المدهشة بتصورات مستغربة، وأقوال مستهجنة، ودعاوى باطلة غير واقعية، ولا يخفى على القارئ مقولة حلمي النمنم في المؤتمر المشهور عن مصر والعلمانية وأن مصر علمانية بالفطرة! وأنه لا توجد - بزعمه - ديمقراطية بدون دم!

وهي نفس منهجية هاشم صالح في كتابه الأخير «الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ»، وكان جابر عصفور قد دافع من قبل عن النمنم (الذي كان قد كتب عن البنا وسيد قطب تحت عنوان (جمعية جبهة علماء الأزهر) [1] قائلا إن : «جمعية جبهة علماء الأزهر التي أظنها تخرق كل القوانين... فضلا عن التحقير من مكانة أنصار الدولة المدنية، الذين توصف كتاباتهم بأنها قاذورات الأقلام الفاجرة ويوصف فيه الكاتب الكبير حلمي النمنم بكلمات بشعة مثل لو أن سفيها ذهب فأكل فخلط متضلعا من قمامات القاهرة التي ملأت فجاجها ثم نام مستقلا فحلم فهذي لم يأت بأقبح مما فاه به هذا النمنم على رؤوس الأشهاد، وأمثال هذا كثير وأقبح في بيانات لا بد أن تخضع للقانون، فالفرق هائل بين حرية الرأي والسباب البذيء، ولا بد أن يأخذ القانون

(١) الأهرام، ٦ يوليو ٢٠١٠م.

مجراه، ليوقف الذين صاغوا هذا البيان وأمثالهم عن تحقير الخصوم الفكريين ووصفهم بما يعاقب عليه القانون؛ إن الحرية مسؤولية أيها السادة».

وقد عين النمنم وزيراً للثقافة، بعد تعيين عصفور، وما زال وزيرا حتى لحظة كتابة هذه المقدمة في بدايات عام ٢٠١٧، أي بعد ١٧ عاما من الطبعة الأولى لكتابنا هذا، وكان فيما قاله جابر عصفور في حوار له مع الإعلامي محمود الورواري مقدم برنامج «منارات» على فضائية «العربية»، أن مصر كانت في أشد الحاجة إلى رئيس مثل عبد الفتاح السيسي ليأخذ على عاتقه تجديد الخطاب الديني، كون تطوير الخطاب الديني قضية أمن قومي يهدد البلاد وتحتاج إلى شجاعة كبيرة من أجل إنجازها. وتابع: «إننا في حاجة لاستعادة روح تفكير ابن رشد عند الحديث عن فكرة تجديد الخطاب الديني، مؤكدا أن الخطاب الديني هو جزء من الخطاب الثقافي العام، لذلك فالتخلف الثقافي يعرقل التجديد، مطالبا بضرورة وجود مشروع عربي عقلاني موحّد لتطوير الحوار الديني والسياسي في مجتمعاتنا العربية».

وكل واحد يعلم أن جابر عصفور هو أكثر من تكلم عن القمع والحريات والمستقبل الواعد، وهو كما يقدمونه: رائد الحرية والدولة المدنية في مصر.

ولقد كان دأب هؤلاء قديما - منذ تغوّل الفكر الماركسي في بلادنا - وحديثا، أن يقيّموا الأحداث هزيمة أو نصرا، بالمعايير العلمانية الخاطئة، فسواء كان الأمر هزيمة للعرب، كما كان في عام ٦٧، على يد نظام تغرب في الاشتراكية وتوغل في الدكتاتورية والقمع، أو كان بعد نصر وثورة على الأوضاع المشينة (بعد ثورات أمتنا لبداية الألفية الثالثة)، فإنهم ما يزالون يرمون الإسلام بالتخلف وأنه هو سبب الهزيمة: كما فعل صادق جلال العظم، في كتابه (نقد الفكر العربي)، بعد هزيمة ٦٧م.

وأنه سبب انحراف أهداف الثورة، بزعم حازم صاغية في كتابه (الانهيار المديد).

وكذلك يقومون بتشويه صورة الدعاة إليه كما في كتاب (سياسات الأديان) لنبيل عبد الفتاح، والذي صدر عن مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م برعاية زوجة مبارك، التي مررت للعلمانيين كثيرا من أباطيلهم، كما أن لنبيل عبد الفتاح كتابه (الجديد) الآخر عن الثورة (النخبة والثورة، الدولة والإسلام السياسي والقومية والليبرالية) وهذا الأخير صدر عام ٢٠١٣م.

ومن ذلك أيضا كتاب (ضد التعصب) لجابر عصفور، والذي ينتصر فيه لنصر حامد أبو زيد وقدحه في القرآن والرسول.

كذلك فقد أصدر المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠١٢ كتاب (الهوية) لحسن حنفي، ولا شك أن هذا الكتاب خدم التوجه الدكتاتوري العلماني، وقد تكلم فيه حنفي عن الإخوان وحزب الحرية والعدالة، كما كرر نفس كلامه القديم عن الاغتراب (متأثراً بفيورباخ) والهوية الإلحادية كما بينت ذلك في كتابنا هذا في الفصل المخصص لحنفي.

كذلك لم يُرد يوسف زيدان أن يفوت الفرصة في التعقيب على الثورة لشدها علمانياً إلى أوهام العلمانية وأحلامها ورغباتها، وذلك بالزعم أن إقامة حكومة دينية في مصر معناه كارثي، ويقصد طبعا حكومة يحكمها إسلاميون فكتب (فقه الثورة) الصادر عن دار الشروق عام ٢٠١٣ [1].

كذلك خرج علينا فهمي جدعان هو الآخر بكتاب صدر عام ٢٠١٤م، بعنوان (تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات)، إصدار الشبكة العربية للأبحاث، زوّر فيه حقيقة الإسلام وحقيقة تيار النهضة الإسلامية الحديثة مساهماً في تشويه

(١) انظر: فقه الثورة، ص ٦١.

المشهد أكثر مما هو حاصل، متوسلاً بمدح التجربة التاريخية الإسلامية لهدم فعل النهضة الإسلامية الحديثة ووأدها ودفن معالمها وتشويه صورتها وتمرير الأفكار العلمانية من خلال ذلك، وهو يخلص إلى فكرة: «تحرير الإسلام من جملة العقائد والتصورات والفهوم والمواقف... بردّ الأمور إلى نصابها وبذل الوسع من أجل صوت الإسلام»[1] ، ويدعو إلى إبعاد الإسلام عن الحكم لأن الحكم طبيعته غير أخلاقية، فهو يدعونا لترك السياسة والفعل السياسي للتصور: «الذي رسمه ميكافيلي والديمقراطيات الليبرالية الحديثة»[2].

أما نوال السعداوي فقد كتبت أيضاً كتاباً في الثورة، وذكرتنا بالثورة الجنسية التي أرادتها في الستينيات، فقالت في كتابها الجديد هذا (الثورات العربية): «في الستينات من القرن الماضي، صدر كتابي «المرأة والجنس»[3] ، وذكرتنا بأنها اليوم ما تزال على ما كانت عليه في الماضي: «كانت كلمة ثورة تعني الكفر، ننشد في المدرسة هذه الكلمات الثلاث «الله، الوطن والملك» كانت الثورة تعني الكفر بالثلاثة معاً وفي وقت واحد، ودون فصل أحدهما عن الآخر»[4].

وأما سمير أمين (المُنظر الاشتراكي الماركسي) فقد صدر كتابه (ثورة مصر) عن دار العين عام ٢٠١١م، وكعادة المتغربين يقول إنه من المشكوك فيه تحول الإخوان إلى منظمة ديمقراطية[5] فالإخوان تنظيم منغلق، أهله أثرياء (زعم!)! وأن لهم تأويلا متجمدا أخذوه من محمد رشيد رضا: «الذي يمثل الوهابية في التأويل المتجمد، والمتخلف الأقصى للإسلام»[6] وعلى العكس فإنه يأمل في التحول «نحو الاشتراكية»[7] فللرجل باع: «في الطريق الطويل نحو الاشتراكية العالمية، فأحد الشروط المهمة الضرورية لجعل هذا الهدف ممكنا هو بالتأكيد تجديد الفكر الماركسي الخلّاق»[8] للوصول للاشتراكية.

أما هاشم صالح فتجده دعا في كتابه (الانتفاضات العربية في ضوء فلسفة التاريخ)، إلى مواجهة الإسلام بالدم، بعد أن أعجزه النقد، رافضاً أن تكون للإسلام أي سيادة عليا، فقال: »... تطبيق الشريعة مستحيل في العصور الحديثة لأنها مضادة في معظم بنودها لكل إعلانات حقوق الإنسان والمواطن»[9] ، وعن المسلمين يقول إنهم: «لا يستطيعون أن يفهموا أن هناك عدة طرق تؤدي إلى الله لا طريقا واحدا أو دينا واحدا... أن تخرج من كل الأديان والمذاهب وتعتنق الفلسفة التنويرية الكونية دينا»[10] ، ويقول عن نفسه وهو يتكلم عن التيارات العلمانية: «إن هذه الأحزاب والأيديولوجيات التقدمية استهانت أكثر مما ينبغي بأهمية التيار الديني ومدى تغلغله في أعماق الشعب.

منذ سنوات وسنوات كنت أرى بأم عيني مدى ثقل الماضي وتراكمات الماضي ومدى تأثيرها على العقول. ولهذا السبب انخرطت في ترجمة محمد أركون المفككة لتراكمات التراث الإسلامي الموروث من الداخل. هذا من جهة، كما انخرطت في نقل فكر التنوير الأوروبي المفكك للتراث المسيحي ... لقد اشتغلت على كلتا الجبهتين»[11] ، وقال: «فإن الربيع العربي مفيد جداً، لأنه سيجبرنا على خوض معركة المصارحة وتصفية الحسابات

(١) تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات، ص ١٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٧.
(٣) الثورات العربية، نوال السعداوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ١٤٧.
(٤) المصدر السابق، ص١٤٩.
(٥) ثورة مصر، ص ٢٧.
(٦) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٧) المصدر السابق، ص ٤٧.
(٨) المصدر السابق، ص ٩٩.
(٩) الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ، ص ٢١١.
(١٠) المصدر السابق، ص ٢٦٤.
(١١) المصدر السابق، ص ١٩.

التاريخية مع أنفسنا... كنا نعتقد أننا هضمنا الحداثة وتجاوزنا «القادمة» كلياً»[١].

وقال من قبل: «وهذا يعني أن التغيير لا يمكن أن يحصل بدون عنف، خصوصاً في أوقات الاحتقانات المتراكبة، والمنعطفات التاريخية الكبرى، فبالعنف تنطلق الشحنة الهائلة للحرية. والعنف هو لغة من لا لغة لهم، من مُنعوا عن فتح أفواههم زمناً طويلاً، وبالتالي فإن التقليد الكهنوتي المهيمن الذي يكاد يخنق الأنفاس ويقضي على نسمة الحرية في جوانح الإنسان قد يدفع المفكرين الأوروبيين دفاعاً إلى الانفجار... والانفجار ضد الذات من أصعب أنواع الانفجارات لأنه يكاد يحرق الأخضر واليابس ويقضي على القريب قبل البعيد، ولكنه يبقى الحل الوحيد إذا ما زاد الكبت عن حدّه وأطبقت هيبة «الأب-التراث» على «الأرواح والعقول»[٢]، إنه لا يدعو إلى حرق المراحل كما قال لكن إن حدث التغيير أو حان وقته فلا بد من الصدام[٣].

ومعلوم أن هاشم ومعه محمد أركون قاما معا بنقد القرآن، في كل كتاباتهم، بصورة تبين ضحالة ما هم عليه من أوحال الفكر الغربي. وهاشم صالح يعيش في فرنسا منذ عقود، وهو الذي كتب: «ينبغي أن يعلم القارئ العربي أن تعليم الدين ممنوع منعاً باتاً في المدارس العلمانية الفرنسية. بل الدين غائب كلياً تقريباً عن الحياة العامة للمجتمع وعن الساحة الثقافية.

وحتى على مستوى الجامعات ما عادوا يدرسون علم اللاهوت... باختصار فإن الدين أصبح قضية شخصية بحتة ولا وجود له في الحياة العامة. لقد فُرغت منه تفريغاً»، وقال: «كما يستهزئون بالأديان والعقائد والقديسين جملة وتفصيلاً دون أن يخشوا على أنفسهم من الاغتيال».

وهو نفسه الذي يشرح لنا الوضع في الغرب كله فيقول: «يضاف إلى ذلك أن الحياة في الغرب أصبحت مادية استهلاكية قائمة على فلسفة المتعة والملذات، أما ما عدا ذلك من قيم ميتافيزيقية وروحانيات فلا وجود له أو لا معنى له في نظر أغلبية الناس. بل حتى الشعر اختفى تقريباً لأنه لا مردود إنتاجياً له في عصر التكنولوجيا والصناعة والمنفعة المادية المباشرة والمحسوسة، وبالتالي ففلسفة الحياة انقلبت رأساً على عقب»[٤].

من تونس كذلك صدر كتاب عبد المجيد الشرفي عام ٢٠١٤م، قام فيه بالكلام عمّا أسموه بـ «الإسلام السياسي» ووضع بين السطور مواقفه العلمانية الكاذبة ضد الإسلام والقرآن والصحابة، فزيف الشرفي بلا شرف معالم الإسلام الأولى، وكذلك غرض الصحابة من الفتوحات، فردد في كتابه هذا (المكتوب بعد الثورات الأخيرة أو أثناء اشتعال بعضها) أقوال المستشرقين، وأرجع الأمر للغنيمة والعصبية، كما راح يرجع الشريعة إلى أصول بشرية، وزعم أن العصر الحديث وما أتت به علوم الإنسان والمجتمع أظهرت أنها شرائع بشرية نسبية[٥].

والرجل يكذب كأنه يشرب الماء فيزعم أن قيمة الحرية وقيمة العدل قيمة حديثة لا توجد في القرآن، وكذلك العدالة الاجتماعية والدفاع عن المستضعفين الفقراء من الناحية المادية والمساكين وضحايا الاستغلال والجشع»[٦]، كما أنه راح يقدح في الإسلاميين بأنهم كان أولى لهم أن لا يركبوا السيارات لأن عدم ركوبها يتماشى مع مبادئهم، فقال: فالمفروض أن اتباع السلف في كل

(١) المصدر السابق، ص ٢٠.
(٢) معارك التنويريين والأصوليين في أوروبا، هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، طبعة ١، عام ٢٠١٠، ص ٩.
(٣) المصدر السابق، ص ١٠.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٥، ٣٦، ٣٧.
(٥) مرجعيات الإسلام السياسي، عبد المجيد الشرفي، دار التنوير، تونس، عام ٢٠١٤م، ص٢٦.
(٦) المصدر السابق، ص ٣٦

فقال: فالمفروض أن اتباع السلف في كل شيء يقتضي ركوب الحمار والجمل، أو يستنكف عن استعمال الكهرباء، بينما المفروض أن يستعمل شمعة، وأن لا يستعمل كل وسائل الاتصال الحديثة، التي يشترك فيها أتباع الإسلام السياسي مشاركة قوية جدا، إذا أن حضورهم على الشبكة العنكبوتية كبير، فالمفروض أن لا يقعوا في أمثال هذه التناقضات، فإما أن يأخذوا بسلوك السلف أو أن لا يأخذوا به[1]، وقال بأن القدماء لم يولوا لـ«قيمة الابتكار والاختراع»، و«إنتاج المعرفة»، أية أهمية!![2]، فألغى من وراء ذلك، كل منجزات حضارتنا العلمية والتكنولوجية في أطول مدة حضارية علمية شاملة، عرفها العالم، في كافة مجالات علوم الطبيعة والفلك والطب والصيدلة وصناعة الأجهزة والمراصد والمختبرات والمكتبات، ودراسة الأرض وما فيها.

المدهش أنه يناقض نفسه بعد صفحات فيقول: «ويُنكر الإسلاميون، عن جهل بقواعد العمران البشري، أن الحضارة الحديثة استفادت من الحضارات السابقة، وآخرتها- هكذا كتبها - الحضارة الإسلامية، وتجاوزتها ...»، ثم يزعم في نفس الصفحة أننا لن نتعود حتى في فترات الازدهار على الوعي بمنطق التغيير، وأن الأمر «ثقافي بالأساس»[3]!

وقد زعم أيضاً، أن الإسلام السياسي يريد أن يولي حاكما لا يُسأل ولا يُحاسب أبدا[4]، وهذا من أشنع الكذب، والرجل رغم شهرته ووجود تلاميذ له إما لم يقرأ أي كتاب من كتب علمائنا المعاصرين، وإلا فهو مفترٍ، يعلم ويزوّر.

كذلك هاجم الشرفي ما يسمى بحجاب المرأة المسلمة بأنه تقليد للراهبات في الغرب، ويمنطق حجته بمزيد من السخف فيقول: «إن لبس الخمار بالطريقة التي تسمى عند الإسلامويين بـ«اللباس الشرعي»، إنما فيه تشبه غير واع بلباس الراهبات في الغرب، أي أن هؤلاء الذين يريدون مقاومة كل ما هو غربي، بدعوى أنه معاد للإسلام، هم في الآنِ نفسه واقعون تحت تأثير هذا الغرب ...، أو على الأقل بعض المظاهر التي كانت منتشرة فيه...الناحية الثانية هي أن اللاتي يلبسن الخمار واقعات في نوع من الاستلاب، متى كن هن الراغبات في لبسه، وليس مفروضاً عليهن، هذا الوقوع في الاستلاب معناه، أن المرأة تدافع عن ما يكرس دونيتها دون وعي»[5].

اتهامات الشرفي لثورات الربيع العربي جمعها أيضاً كلها صاحب كتاب «ربيع زائف، نقد الثورات العربية لعام ٢٠١١»، وهو رجل ماركسي واسمه ناهض حتر، صدر كتابه عن دار التقدم الأردني عام ٢٠١٣م.

وأخيراً أصدر تلميذ محمد أركون، وهو د. محمد الحداد، كتاباً بعنوان «التنوير والثورة، دمقرطة الحداثة أم أخونة المجتمع؟» سنة ٢٠١٤، عن دار التنوير بيروت، وهو مجموعة مقالات كان قد كتبها في صحيفة الحياة اللندنية. ويؤمن الحداد بعدم وجود ثوابت أو جواهر في رؤيته المادية للتاريخ: «وجهة النظر التاريخية لا تؤمن بوجود جواهر أو ثوابت... الإنسان ليس بالفطرة... متدينا»[6].

وهو عندما يتكلم عن الدين فهو نسبي لا حقيقة له، وعندما يتكلم عن العدل واحترام كرامة الإنسان وحرية التعبير يضع في باله المشروع العلماني ما بعد الحداثي، الذي يفتح تلك الأمور على آخر ما عليه الغرب ليوم الناس هذا[7] من إباحية وعلاقات خارج الزواج وبيع الأجساد وغيرها،

(١) المصدر السابق، ص ٨، ٢١.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٦، وله مجموعة أكاذيب مجتمعة في صفحة ٣٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٤١.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٤.
(٥) المصدر السابق، ص ٣٤، ٤٤.
(٦) كتابه الإسلام نزوات العنف، واستراتيجيات الإصلاح، لمحمد حداد، دار الطليعة، ط ١، ٢٠٠٦»، ص ٦.
(٧) انظر مثلا كتابه «البركان»، ص ٧٨.

حتى أنه يقول إنه يجب فهم موضوع الزنا لكن بصورة حداثية تدخل النظرة القديمة إليه في حيز «الظروف القديمة»، والآن اختلفت الظروف فيمكن للإنسان أن يفعل ما يشاء في حرية تامة، فالزنا- وتعدد صوره - لم يحرم إلا للضرر الذي استطاع الغرب الحديث - بزعمه- تجنبه!!![1].

وبما أن الضرر – بزعمه- زال اليوم، فليكن موقفنا من موضوع الزنا هو الموقف الحداثي!! فبعد أن نفى أي وجود للشريعة، فهي عنده «شيء لم يكن ولا وجود له» قال:» وكان الزنا يدخل اضطراباً في بنية الأسرة والقبيلة في عصور لم تعرف فيها وسائل التوقي ومنع الحمل»!![2].

كما أنه يقول اعتراضاً على مفهوم تعداد الرجل في الإسلام لما لا يكون التعدد للنساء أيضاً[3] ونص كلامه هو: «فلماذا لا تقتضي أيضاً تعدد الأزواج في الحالات المقابلة».

زعم، أيضاً، في السياق، وكأنه مستشرق لم يعش في بلاد المسلمين، أن المسلمين يجبرون بناتهم وزوجاتهم على ارتداء الحجاب «إجبار البنات على ارتداء الحجاب والتلويح بقطع يد السارق ورجم الزاني، أي الرجوع إلى مجموعة من الأحكام تضمنها النص المؤسس لكنه لم يكن مشرعها، بما أنها كانت موجودة قبله، فالنساء ارتدين الحجاب قبل الإسلام كي لا تلوث شعورهن وأجسادهن عواصف الصحراء ... وغبار المدن... وكان الزنا يدخل اضطراباً في بنية الأسرة والقبيلة في عصور لم تعرف فيها وسائل التوقي ومنع الحمل»[4].

فهؤلاء العلمانيون نشروا أحقادهم العنيفة وما يزالون يفعلون إلى لحظتنا هذه ضد تيار النهضة الإسلامية، لأنه تيار أصيل ومتأصل في الأمة، إنهم يريدون أن يخرجوا الأمة من دينها إلى علمانية ولائكية ولا دينية ولا أخلاقية، مع أنهم يتكلمون عن أخلاق يجب أن تُستعاد، لكن من خلال (العلمانية الجديدة)![5]، تجعل الدين شعائر لا شأن له بقيادة الدنيا وسيادة الدولة التي قيامها مجتمعات المسلمين، ولقد كتب عزمي بشارة[6] كتابه (الدين والعلمانية) لهذا الهدف.

فالسيادة العليا، بالنسبة لهؤلاء الحمقى، يجب أن تكون للعلمانية (عقول الفلاسفة الغربيين وأصحاب المصالح والمال والقانون والفكر) بكل ما لها من طفرات وتحولات في عالم الإنسان والمجتمع، وعالم السياسة الكونية والاقتصاد، والأخلاق والثقافة، وغير ذلك من عوالم الإنسان المعاصر، من تعليمية وإعلامية، وقيمية وواقعية (إباحية وتجارية لا ضوابط فيها).

وأخيرا نقول إن هذه الطبعة الجديدة للكتاب فيها زيادات مفيدة، وقد تعمدنا منذ البداية أن نقرب مادة الموضوع للجماهير حتى يسهل عليها فهم القضية، وقد حاولت تفادي عائقين للذهن والقراءة السهلة هما: الرطانة الثقيلة وكذلك التعابير الشائكة والكلمات العويصة المحبكة التي ينفر منها جمهور واسع من القراء، كما أن اللغة الأكاديمية الصعبة تحول دون الوصول للنتيجة بطريق ميسور، فيجب أن يحظى التركيز على ما يقال بالنصيب الأكبر في موضوعنا، لا على ما

(١) بمناسبة هذا الكلام الفارغ أقول: أنا أعمل في دار للمسنين والعجزة في هولندا منذ ٢٠ عاما، وكان فيها طابق كامل لمرضى الإيدز، وأغلبهم شباب، وسألت إحداهن وكانت صورتها على الحائط رائعة الجمال: هل هذه صورتك؟ فأجابت بإشارة من وجهها الشاحب: نعم! وكان بعضهم قد تلقى المرض من شوارع الدعارة المنتشرة في المدن الغربية التي يقوم على رعايتها الأطباء!

(٢) البركان لمحمد الحداد، ص ٥٠

(٣) المصدر السابق، ص ٧٠ .

(٤) المصدر السابق، ص ٥٠

(٥) انظر العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية للمسيري، ص ٧٦.

(٦) كتب أخيرا عن ثورة مصر كتابا من جزأين، وهو بالعموم أفضل من كتب من العلمانيين عن الثورة المصرية.

يزركشه الكاتب غالبا أو يقوم عامدا بتعقيد كلماته وإغلاق الأذهان تجاهها، ونسأل الله أن يحمي أمتنا المصرية، وعالمنا الإسلامي كله، من أن تخوض كما خاضوا في العلمانية والدكتاتورية الفاشية.

وكنت قد ألّفت هذا الكتاب عام ٢٠٠٠م، وطبع مرتين وقد لقي قبولا طيباً فلله الحمد، إلا أني حذفت وأضفت ونقحت في الكتاب، وكان الفصل الذي حظي بزيادات كثيرة وتنقيحات هو الفصل عن محمد أركون.

أسأل الله أن ينفع القارئ به وأن ينفعني بدعائه.

والله من وراء القصد

طارق عبد الباقي منينة

٢٢ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

الموافق ١٨ فبراير/ شباط ٢٠١٧م

لاهاي - هولندا

## مقدمة الطبعة الأولى

«العلمانية» هي الترجمة العربية لكلمة « secularism، secularité» في اللغات الأوربية، وهي ترجمة مضلله لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم، بينما هي في لغاتها الأصلية لا صلة لها بالعلم، بل المقصود بها في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيداً عن الدين أو الفصل الكامل بين الدين والحياة[(١)].

تقول دائرة المعارف البريطانية في تعريف كلمة «secularism» (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها، ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر... ومِن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ«secularism» تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النَّهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية، وبإمكانية تحقيق طموحاتها في هذه الحياة القريبة، وظل الاتجاه إلى «secularism» يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية)[(٢)].

(١) مذاهب فكرية معاصرة، أ. محمد قطب، ص ٤٤٥.
(٢) المصدر السابق نفسه.

فمـا يـسمى «secularism» والمترجمـة في العربيـة بالعلمانيـة هـي حركـة مـضادة للـدين، ولـيس للمـسيحية فقـط، هـذه الحركـة سيطرت في الغـرب علـى الحيـاة كلها فتمّ عـزل الـدين عـن الحيـاة كلـها وصـبغت علومهـا بـصبغتها، فـصارت علـوم الإنـسان والاجتمـاع والـنفس والاقتـصاد والـسياسة والفـن مضادة للدين ومناقضة لمبادئه.

هـذا حـدث في الغـرب... هيمنـت الفلـسفة العلمانيـة على الحياة كلها.

وكانـت لهـا الـسيادة العليـا ومـا تمنحـه للـدين بيـد تأخـذه باليـد الأخـرى! عـن طريـق التعلـيم والإعـلام والقـانون وكـل أدوات ووسـائل الـسلطة العليـا للفلـسفة والدولة الحديثة.

أمـا في العـالم العربـي والإسـلامي، فالعلمـانيون يتبنـون «العلمانيـة»[1] لكـن هـل هـي العلمانيـة الـتي يتبناهـا الغـرب أم هـي شـيء آخـر وضـع لـه هـذا المصطلح؟! نترك للعلمانيين العرب الإجابة!!

الأمـر الـذي نريـد التأكيـد عليـه هنـا هـو أننـا لـن نـستدعي مـن أقـوال المفكـرين والعلمـاء المـسلمين في هـذا الـشأن إلا بعـد أن يكـون «العلمـانيون» قـد استعرضـوا أقـوالهم، وحكـم بعـضهم علـى بعـض، وفـسَّر بعـضهم مـذاهب بعـض، ووضـع بعـضهم بعـضاً موضع النقض.

بيـد أننـا فـضَّلنا أن نـضع في هـذه المقدمـة مجموعـة مهمـة مـن الأسـئلة «المثـارة» الـتي تخـص موضـوع كتابنـا، بحيـث يجـد القـارئ الإجابـة عليهـا بـين دفـتي هـذا الكتـاب، وبالانتهـاء مـن قـراءة هـذا الكتـاب يكـون القـارئ الكـريم قـد تعـرف علـى موقـف «العلمـانيين العـرب» مـن «الـدين» و«الـوحي» و«النبـوة» و«المرجعية الإسلامية» و«التراث» و«الشريعة».

وهـذه هـي الأسـئلة الـتي تخـص «العلمانيـة» الـتي يتبناها «العلمانيون العرب»:

١- هـل مقاصـد الإسـلام الكليـة هـي مقاصـد العلمانية الكلية؟

٢- هـل تُنـاقض المرجعيـة العلمانيـة - أو تنْقضُ! - المرجعية الإسلامية؟

٣- هـل تريـد العلمانيـة إقامـة مجتمـع مـدني داخـل الأطـر والثوابـت الإسـلامية، أم أنهـا تـستعير أطـرا وأيـديولوجيات مغـايرة ومناقـضة وهادمـة لهـذه الأطر والثوابت؟

٤- هـل العلمانيـة هـي انتهـاج الـنهج العلمـي بـدون رفض العقيدة الإسلامية، وبدون نبذ الدين والوحي؟

٥- هـل ممثلـو الاتجـاه العلمـاني لا يـستبعدون الـدين ولا يعادونـه وأنهـم فقـط يحرصـون علـى الفهـم، فهـم الـتراث والـدين معـاً، كمـا في كتـاب الـتفكير في زمن التكفير لنصر حامد أبو زيد ص ٢٢؟

٦- مـا هـو الغـرض الرئيـسي والحقيقـي، والهـدف الأعلـى المنـشود للحـضور العلمـاني في العـالم العربي والإسلامي؟

٧- وهل قال العلمانيون شيئاً في هذا الشأن؟

٨- وهـل هـم صُـرحاء في مـواقفهم مـن الإسـلام والعقيدة؟

٩- وهـل احتلـوا مواقـع في عـالم الفكـر والتوجيه والتأثير في عالمنا العربي والإسلامي؟

١٠- هـل يجـب أن يتعامـل المسلمون مـع العلمانيـة علـى أنهـا ضـد الـدين وضـد «الـشريعة» وضـد «المبـادئ الإسلامية»؟

١١- هـل في «العلمـانيين» «فقهـاء مـسلمون» و«علماء مجتهدون» أو «مفكرون مسلمون»؟

١٢- هـل يطـرح بعـض العلمـانيين أيـديولوجياتهم مـن خـلال الإسـلام بغيـة الـسيطرة عليـة مـن «الـداخل» وتغيير معالمه ببطء؟

١٣- هـل هنـاك خطـر حقيقـي علـى الإسـلام والمسلمين من العلمانية؟

١٤- هـل الـدعوة إلى «المرجعيـة الإسـلامية» والحفـاظ علـى «الهويـة الإسـلامية» هـدف «غربـي» لتكـريس التخلـف والجمـود في العـالم العربـي والإسلامي؟!!

١٥- هل هناك أهداف مشتركة بين الفصائل العلمانية تجاه الإسلام وعملية الإحياء الإسلامي؟

١٦- هل تسعى العلمانية، فعلاً، لفصل الدين عن الحياة في العالم العربي والإسلامي أم أنها علمانية تكتفي بفصله عن السياسة؟ وبمعنى آخر: هل العلمانية التي يدعون إليها في عالمنا هي علمانية شمولية تقيم الحياة بعيداً عن الدين أم أنها «علمانية جزئية» تفصله عن السياسة فقط؟

١٧- هل مفاهيم «العقل» و«الحرية» و«الإبداع» في «العلمانية»' هي نفسها مفاهيم «العقل» و«الحرية» و«الإبداع» في الإسلام؟؟

١٨ - هل العلمانية هي «الدنيوية القائمة على ساق الشريعة» أم أنها «دنيوية تنبذ الدين وتطرد الشريعة» وإذا كانت الأولى فهل شوّه الإسلاميون صورتها لغرض استقطاب الجماهير؟ وإذا كانت الثانية فهل يجب إعلان الحرب عليها؟

١٩- هل خلَق سيد قطب التباسا ما بشأن العلمانية، مثل القول بأنها معادية للأديان أم أن هناك نصوصا ثابتة عن علمانيين تؤكد ما قاله سيد قطب وترفع عنه تهمة خلق الالتباس؟

٢٠- هل يقوم الإسلاميون بعملية خلق دلالي للعلمانية عن طريق الانتقال من مسألة «فصل الدين عن الدولة» إلى «فصل الدين عن المجتمع» بينما العلمانية بريئة من الفصل الأخير؟!

٢١- هل تعاطف الإسلاميون مع كنيسة العصور الوسطى المظلمة التي حاربت العلم والعلماء أم أنهم وقفوا في وجه العلمانية ويدينون ما قامت به الكنيسة في عصورها «المظلمة»؟

٢٢- هل علوم الإنسان والمجتمع وغيرها من العلوم الاجتماعية والدينية والنفسية والفنية الغربية الحديثة جداً تلغي الدين وترفض الوحي؟

٢٣- هل الحضارة الإسلامية مضادة للإنسان كما قال المستشرق «فون غروبناوم» في كتابه «الإسلام الحديث » ص ٤، أم أنها حضارة الإنسان وكرامة الإنسان؟

٢٤- هل بدأ العلم والتقدم والاكتشاف والتجريب في منهج متكامل وعلى قواعد آمنه مع الحضارة الإسلامية أم بدأ مع النهضة الأوربية؟

٢٥- هل الاتهامات التي توجه للعلمانيين تضعهم في موضع الدفاع عن النفس بلا جريرة ولا ذنب وأنها على سبيل الافتراء؟ وهل الدافع المحرك للاتهامات هو الظن بالكاتب قبل الكتابة، والاسترابة في نوايا الفاعل قبل مقاربة الفعل، وأنه قائم على نوايا مظنونة وليس حكماً على نصوص الكتابة نفسها كما يقول الكاتب العلماني جابر عصفور[1]؟

٢٦- هل هناك سبب قوي - مثل حضور الصحوة الجماهيرية الإسلامية مثلاً - يجعل العلماني في كتاباته اللاحقة - لو صحّ وجود هذا العلماني في عالمنا العربي!! - أن يتراجع عن بعض أقواله التي صوبها تجاه الإسلام مثل إنكار وجود العقل في الإسلام أو إنكار وجود علاقة الحب بين العبد وربه أو إنكار وجود مفهوم للعلم أو المساواة أو الحرية أو العدل في الإسلام أو إنكاره لبعض الثوابت القرآنية؟!

هذه مجموعة أسئلة تلحّ على المثقف العربي والمسلم، وتحتاج لإجابة شافية كافية عنها، ونأمل بهذا الكتاب أن نكون قد قمنا بذلك وعرّفنا القارئ العربي والمسلم بنشاط العلمانية وفكرها وأيديولوجياتها وخططها في العالم العربي والإسلامي.

طارق عبد الباقي منينة

٢٩ ربيع الآخر ١٤٢١ الموافق ٣١ يوليه ٢٠٠٠م

لاهاي – هولندا

---

(١) قال ذلك في جريدة الحياة: مقالة تحت عنوان سجن كاتبتين – الأربعاء ١٦ فبراير ٢٠٠٠، وذكر فيمن ذكره سيد القمني وحسن حنفي ونصر حامد أبو زيد والكاتبة ليلى العثمان وعالية شعيب.

## ٥- ثورات الخوارج
## محاولة اغتيال الحسن بن علي

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

**بويع الحسن بن علي،** رضي الله عنهما، بالخلافة بعد مقتل والده على يد الخوارج في سنة ٤٠هـ. وعليّ بن أبي طالب، هو الآخر، بويع بالخلافة بعد مقتل سلفه، ذي النورين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وعلى يد الخوارج السبئية أيضا، أواخر سنة ٣٥هـ، وهكذا قتل الخوارج في صدر الإسلام خليفتين من خلفاء المسلمين الراشدين، واثنين من العشرة المبشرين بالجنة والسابقين في الإسلام، وصهري رسول الله ﷺ، كما حاربوا جموع الصحابة الذين رضي الله عنهم ورسولُه بعد أن كفّروهم وأباحوا دماءهم.

**ولم يكن الحسن بعيدا عن سهام الخوارج وعن فهمهم السقيم،** فخلال الأشهر القليلة التي قضاها في الحكم قبل تسليمه إلى معاوية، رضي الله عنه، تعرض الحسن إلى محاولتي اغتيال، كانت الأولى منهما في أعقاب الشائعة التي سرت بمقتل قائد جيشه، قيس بن سعد، إذ فور سماع الجند بذلك عمّت الفوضى بينهم، «وانتهب بعضهم بعضا، حتى انتهبوا سُرادِق[1] الحسن، حتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه، وطعنه بعضُهم»[2].

**أمّا المحاولة الثانية لاغتياله فكانت على يد الخوارج،** وتحديدا على يد شخص اسمه الجراح بن سنان، وتذكر لنا المصادر التاريخية أن الجراح هذا كان صاحب سيرة سيئة منذ زمن طويل، فهو أحد الذين افتروا على سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، عندما كان واليًا على الكوفة، أيام خلافة الفاروق عمر، رضي الله عنه، وسَعوا في عزله، في وقت عصيب جدا، ففي ذلك الوقت استطاع ملك الفرس يزدجرد أن يحشد جموعا كثيرة لقتال المسلمين، وسعدٌ، والي الكوفة وقائد معركة القادسية من قبل، والمسلمون هناك يبحثون أمر تشتيت جموع الفرس وقتالهم، فما كان من سعدٍ إلاّ أن دعا على هؤلاء المفترين، وكان مستجاب الدعوة، «فكان لهم من سوء الخاتمة نصيب»[3].

**يقول ابن كثير في شأن هذه الشكوى:** «وثار أهل الكوفة على سعد في غبون هذا الحال، فشكوه في كل شيء حتى قالوا: لا يُحسن يصلي!! وكان الذي نهض بهذه الشكوى رجل يقال له: الجراح بن سنان الأسدي، في نفر معه، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه إليه، قال لهم عمر: إن الدليل على شرّكم نهوضكم في هذا الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله، وقد جمعوا لكم، ومع

(*) كاتب أردني.

(١) في المعاجم: هو الخيمة أو المنصّة أو المكان الذي يجتمع فيه الناس في = المناسبات كالعرس والمأتم ونحوهما.

(٢) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٥٦٨.

(٣) د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٢٩ (الهامش).

هذا لا يمنعني أن أنظر في أمركم.

**... ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه،** فكلٌّ أصابته قارعة في جسده، ومصيبة في ماله بعد ذلك»[1].

**وقبل الحديث عن محاولة الجراح بن سنان الآثمة** لاغتيال حفيد رسول الله ﷺ، الحسن بن علي، نودّ التوقف عند أمرين هامّين أثارتهما الشكوى المقدمة ضد سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه:

**الأول:** أن الخوارج –قديما وحديثا- لم يُعرف عنهم سابق صلاح، ولا سابقة في الإيمان والإسلام والالتزام بأحكامه، فهذا الخارجي (الجراح بن سنان) لا يتورع أن يفتري على أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين في الإسلام، وقادته الكبار، بأنه لا يُحسن الصلاة!!

وقد رأينا في العصر الحديث بأن معظم جماعاتهم عادة ما تتكوّن من أصحاب الانحراف، فكم من «داعشي» معاصر أُلقي القبض عليه أو عثر على جثته، وفيها آثار من شرب الخمور أو تعاطي المخدرات، وكيف انتقل بعضُهم من النقيض إلى النقيض، ليصبح بين يوم وليلة أسد السنة والمجاهد البطل والمغوار، ومفتيا مرموقا لا يُشقّ له غبار.

**الآخر:** أن الخوارج لم يُعرف عنهم تقدير المصالح والمفاسد الشرعية، ولا وضع مصلحة الإسلام في المقدمة كما تجلى من إحداثهم الشرخ وخلخلة صفوف المسلمين المرابطين في مواجهة الفرس، فقدموا إلى المدينة يشتكون زورا وبهتانا على قائد المسلمين هناك، سعد بن أبي وقّاص، وقد أنّبهم الفاروق عمر، رضي الله عنهم لصنيعهم هذا: «إن الدليل على شرّكم نهوضكم في هذا الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله، وقد جمعوا لكم...».

ولم يختلف سلوك الخوارج المعاصرين عن أسلافهم في هذا الأمر، ولنا في الثورة السورية خير دليل، فكم اغتال «الدواعش» من مجاهدين معارضين لنظام الأسد النصيري ولإيران وروسيا، بحجج واهية، فأضعفوا ساحة الجهاد ومنظماته الفاعلة، وتركوا المجال لأعداء الدين يسرحون ويمرحون ويحرزون التقدم تلو الآخر، ويعيثون في أرض المسلمين وأهل السنة الفساد.

وما فعلوه في سوريا، فعلوه أيضا في العراق، وفعله قبلهم تنظيم القاعدة، فقد تفرغوا لقتال أهل السنة المقاومين للمشروعين الأمريكي والإيراني هناك، بحجّة أنهم عملاء وخونة، وتركوا الساحة السنية نهبا للطامعين والمحتلين.

## محاولة الاغتيال

وبالعودة إلى محاولة اغتيال الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، فإنها جاءت في أعقاب نجاح مفاوضات الصلح بينه وبين معاوية، رضي الله عنه[2]، فمَن كان على مذهب الخوارج في جيشه قالوا «قد كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله، فشدّوا عليه فنهبوا متاعه، ثم لم يكتفوا بذلك، بل أرادوا أن يكون مصيرُه كمصير أبيه، فكمن له الجراح بن سنان الأسدي الخارجي، فطعنه بخنجر مسموم في فخذه، ولكنه لم يصب منه مقتلا، ونجا الحسن من مؤامرة خارجية لاغتياله»[3].

وقد ورد عند البعض أن الجراح قعد ينتظر الحسن، فلما مرّ ودنا من دابته أخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً كان معه وقال: أشركتَ يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بالمعول في أصل فخذه، فشقّ في فخذه شقًا كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرّا إلى الأرض، ووثب عبد الله بن الخضل الطائي، فنزع المعول من يد الجراح، وأخذ ظبيان بن عمارة التميمي بأنفه

---

(١) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٤٠٢.

(٢) د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٢٩.

(٣) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، ص ١١١.

فقطعه، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات، وحُمل الحسن إلى المدائن .. ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب، وقام عليه حتى برئ[١].

تعطي محاولة الاغتيال هذه مثالا واضحا على حرص الخوارج على قتل الصالحين من هذه الأمة وتكفيرهم، أما اتهام الحسن وأبيه عليّ، رضي الله عنهما، بالشرك والكفر فهو مما يثير السخرية والأسى، فإذا كان عليٌّ، وهو أحد المبشرين بالجنة، والسابقين في الإسلام، وخليفة المسلمين، مشركا بالله، فمن هو الموحّد في نظر الخوارج؟؟

ولقد رأينا الخوارج المعاصرين يكررون سيرة القدامى منهم، فيحكمون على من يخالفهم في الرأي من هذه الأمة أو ينتقد مسلكهم بالكفر والردّة، ويعتبرون قتلهم وقتالهم أولى من قتال الكافر الأصلي.

ولعلّ آخر «تقليعة» قاموا بها في هذا الشأن، هي تلك القائمة التي أعلنها تنظيم الخوارج «داعش» مؤخرا لعدد من العلماء والدعاة، وبعضهم يعدّ من كبار علماء المسلمين وأهل السنة ودعاتهم، كيوسف القرضاوي ومحمد العريفي وعائض القرني وسعد البريك ونبيل العوضي ومحمد حسان وناصر العمر وعبد العزيز الفوزان ومحمد المنجد وعدنان العرعور، حيث نفى التنظيم في بيانه عنهم العلم، واعتبرهم «عملاء لا علماء» ووصفهم بأنهم «أئمة الكفر»، والأدهى والأمرّ أنه دعا لاغتيالهم، لأنهم - بزعمه- «شركاء في الحرب الصليبية» ضد التنظيم، و«حمير آذوا المجاهدين»[٢].

---

(١) د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٢٩ – ٣٣٠.

(٢) موقع عربي ٢١، بتاريخ ٢٠١٧/٢/١٢م، على الرابط: https://arabi21.com/story/984493/%D9%85%D9%81%D8%A7%D8%AC%D8%A3%D8%A9-%D9%85%D8%AF%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%80-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D8%AF%D8%B9%D8%A7-%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8%AF

## المراجع


١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٤م.

٣- د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.








## التجربة السياسية الشيعية الحديثة... من المعارضة إلى السلطة
## ١- تجربة إيران

بوزيدي يحيى[*]– خاص بالراصد

**دشنت الثورة الإيرانية في سنة ١٩٧٩م مرحلة سياسية جديدة في الشرق الأوسط** كان من أهم مظاهرها تجاوز عقيدة الانتظار لعودة المهدي الشيعي الغائب لقيادة العالم وانخراط ملالي الشيعة في ممارسة السياسة والحكم مباشرة.

**أسس الخميني نظام حكم شيعيا وحاول تصديره لدول الجوار والعالم**، وقد فشلت محاولات محاكاة التجربة الإيرانية حرفيا في الأقطار العربية، غير أن ذلك لم يمنع من تحقيق اختراقات متفاوتة، خاصة على الساحة العراقية، فعقب الاحتلال الأمريكي في ٢٠٠٣ استحوذ الشيعة على السلطة في العراق، وأما الحالة اللبنانية والحوثية فشكّل فيها الشيعة دولة داخل الدولة، بينما بقيت التجارب الأخرى في حدود التأثير العام.

**رافق هذه التطورات السياسية جدل داخل البنية الشيعية وخارجها نظرا للإشكالات الفقهية والسياسية التي ظهرت في النظرية والتطبيق**، في مقدمتها الموقف من الدولة الوطنية، ومن المكونات الاجتماعية الأخرى، وطبيعة التفاعل مع القضايا الإسلامية، خاصة بعد انفجار الانتفاضات الشعبية في ٢٠١١ وأشكال الاصطفاف السياسي.

**وللإحاطة بمختلف هذه القضايا كانت هذه السلسلة من المقالات التي ستتناول التجربة السياسية الشيعية الحديثة بشكل مفصل من خلال الوقوف عند أهم محطاتها**، ومناقشتها وتقديم صورة موضوعية عنها، هذه التجربة التي ما تزال إحدى المعضلات التي تؤرق المجتمعات والدول العربية لضبابية الرؤية حولها، والناجمة عن الفهم الخاطئ لأبعاد الظاهرة سياسيا.

### إيران وولاية الفقيه: سلطة الغائب وسطوة القائد

تعتبر التجربة الإيرانية المعاصرة امتدادا للتجربة الصفوية رغم الفوارق، إذ أصبح التشيع منذ تلك اللحظة قرينا بالأنظمة السياسية التي حكمت إيران، وأضحت المؤسسة الدينية الشيعية واجهة للأنظمة السياسية، وكثيرا ما لعب المراجع دورا في صعودها وسقوطها. وما يميز التجربة الخمينية عن التجارب السابقة أنها احتلت مركز السلطة ولم تبقَ على هامشها كما في الحالات السابقة. وقد وجد الشيعة فيها الحلقة المفقودة بين حكم الأئمة والأمة من خلال نظرية «ولاية الفقيه» التي جعل منها النظام الإيراني النموذج الأمثل في الحكم الإسلامي وسعى لتصديرها إلى المجتمعات الإسلامية الأخرى.

[*] باحث وكاتب جزائري.

وبعد مشاركة التجربة على إتمام عقدها الرابع والتأثيرات التي رافقتها ولا زالت تداعياتها تتجلى في المحيط العربي، من الأهمية قراءتها في سياقها الشيعي والإسلامي على حد سواء، ومحاولة تقييمها التي تتداخل فيها عدة اعتبارات، منها الخلفية الدينية للنظام والبعد الأخلاقي المرتبط بها، فقد رفع النظام السياسي الإيراني باعتماده نظرية ولاية الفقيه التي تنطلق من أسس دينية شيعية سقف معايير قراءته وتقييمه، فهو يعتبر نموذجه الأمثل في التعبير عن القيم الإسلامية وفق منظومته العقدية الشيعية، فحجر الزاوية في هذا النظام تلك الأسس التي سار عليها الإمام علي بن أبي طالب، الخليفة الراشد الرابع، ومن قبله سنة رسول الله ﷺ في سيرته السياسية، وبإعلان الالتزام بحتمية ولاية الفقيه في زمن الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن المهدي) على قاعدة الولاية النائبة عن الإمام الغائب، ما اعتبره مفكرو النظام أساسا صالحا لتكوين جمهورية إسلامية[1].

ومن جانب آخر يجب عدم إغفال تمظهرات الحداثة في الدولة والحكم الإيراني من خلال مستويات المأسسة والتمثيل الشعبي كون النظام يعتبر نفسه متميزا عن النماذج الغربية الأخرى، وأفضل منها لاستدراكه السلبيات الموجودة في الأنظمة الديمقراطية من خلال المزاوجة بين القيم الإسلامية والمبادئ الأخلاقية التي تحكمها، والقوانين الوضعية التي تضمن العصرنة بطرح مفهوم الديمقراطية الدينية. حيث قدم الدستور الإيراني عبر اجتهاد الفقهاء الشيعة نظرية للسلطة تعتمد في عمقها على الصفوة الثقافية، والدمج بين السلطة والقيم الأخلاقية التي أقرت معها الشريعة، وسعى إلى دمج الشورى الإسلامية بالديمقراطية الغربية[2].

## إخفاقات الأطروحة الخمينية: بين النظرية والتطبيق

قدم الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» نموذجه في الحكم الذي اصطلح عليه بـ «ولاية الفقيه»، وتقوم فكرته الأساسية على أنه لا بد في زمن غيبة الإمام من بديل عنه تقام به أحكام الإسلام، ويعرف به الحلال والحرام، ويحكم فيه بالشريعة، وتكون علاقات الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى مبنية على ما أراده الله ورسوله، أي تقوم حكومة إسلامية مقام الإمام وتنوب عنه في غيبته[3].

وقد تعرض هذا النموذج لانتقادات من كبار مراجع الشيعة في حجم الخميني ومقامه، وربما أكبر منه في سلم المرجعية الدينية مثل كلبايكاني والنجفي[4]. وانطلق معارضو «ولاية الفقيه» من فرضية عدم قدرة الفقيه على إرساء الحكم مثل الأئمة المعصومين، وذلك بسبب ظروف العصر الحديث، وأن هذا الفقيه إذا أمسك بزمام السلطة مباشرة وتعرضت الحكومة لصدمة ما، فإن هذه الصدمة ستترك آثارها على أسس ومعتقدات الشيعة[5].

وحتى أعضاء من الجمعية التأسيسية رفضوا منصب المرشد مثل آية الله ناصر مكارم الشيرازي لعدم وجود ضمانات بأن يتمتع خليفته بمؤهلات قيادية مماثلة للخميني[6]. وآية الله صاحبي الذي حذر من منح صلاحيات كبيرة للمرشد كونها

---

(١) غضنفر ركن آبادي، **الإسلام والنظام السياسي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية**، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الفكر الإيراني المعاصر، ط١، ٢٠١٦، ص ٢٩١.

(٢) **المرجع نفسه**، ص ٣٧٥.

(٣) محمد سليم العوا، **المدارس الفكرية الإسلامية: من الخوارج إلى الإخوان المسلمين**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٦، ص ١٤١.

(٤) فهمي هويدي، **إيران من الداخل**، القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠١١، ص ١٤١.

(٥) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٤١٦.

(٦) هالة العوري، **إيران بين عدالت خانه وولاية الفقيه**، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠١٠، ص ٣١٠.

ستخلق سيادة ووصاية ليس لها مثيل، وأن ذلك من شأنه أن يضع السلطة الدينية بحكم العمل السياسي محل انتقاد، وفي ذلك نهاية للإسلام[1].

ومن جهة أخرى اعتبر علماء دين شيعة آخرون مثل محمد جواد مغنية أن التسليم بما قاله الخميني حول ولاية الفقيه إدانة لكل المجامع الشيعية العلمية منذ غياب الإمام الثاني عشر إلى قيام الخميني[2]. لأنها تعني أن الفقهاء منذ عصر الغيبة كانوا مقصرين في تحمل مسؤولياتهم للقيام بهذا الدور الذي لم يقم به أئمة أهل البيت أنفسهم[3]. وطرح بعض المراجع بدائل عمّا جاء به الخميني على غرار «نظرية ولاية الأمة على نفسها» لآية الله محمد مهدي شمس الدين.

**ومن الإخفاقات على المستوى النظري** أيضا أن الرؤية الإيرانية التي تتجاوز الحدود الوطنية بنص دستور ١٩٧٩، والتي جاءت حينها في سياق الحماس الثوري والسعي لتصدير الثورة - ومن هذا المنطلق يمكن تبريرها - إلا أنه بعد عشر سنوات ومرور عقد على التجربة في الحكم لم تتم مراجعة هذه المواد في التعديل الدستوري سنة ١٩٨٩ والذي كان في آخر حياة الخميني، وبعد مرور قرابة ثلاثة عقود على حكم خامنئي لم يتم أيضا مراجعة الدستور أو كتابة دستور جديد يستدرك هذه المواد، مما يؤكد أنها ضمن أسس النظام الدينية التي لا يمكن الاستغناء عنها. وهذا يتعارض مع مفهوم «الدولة» كما أنه أوقع الشيعة خارج إيران من المؤمنين بـ «ولاية الفقيه» في معضلات سياسية مع أوطانهم ومجتمعاتهم.

**وعمليا تمثل أول إخفقات النموذج** في تراجع الخميني عن الشروط التي وضعها لتولي المنصب، حين أدرك أن المرجعية والقيادة ربما لا تجتمعان إلا نادرا في شخص معين، وبالتالي فإن تفكيك هذه اللازمة بينهما يصبح ضروريا[4]. فمجرد التنازل عن شرط المرجعية يعني عمليا الخروج عن «ولاية الفقيه»، وهذا ما تأكد بعد وفاته إذ لم يمر تولي خامنئي القيادة دون انتقادات من المراجع الدينية خاصة مع ضعفه في هذا المجال حينها، ولذلك فأيًّا كان القائد التالي فإن الانتقادات له ستكون أشد، خاصة مع تعدد توجهات المراجع ومواقفهم، وتراجع دورهم في الحياة السياسية مقارنة بالعقد الأول من الثورة، وكان لخامنئي نفسه دور في تحجيم السلطة السياسية لرجال الدين[5].

**أما الإخفاق الثاني** فيتجلى في الاتساع المستمر لدائرة الرفض لـ «ولاية الفقيه» فبعض المراجع الذين يرفض جلّهم النظرية من الأساس كما سبق الإشارة، وتراجع البعض الآخر الذي كان يدافع عنها كآية الله حسين منتظري الذي أصبح أول ضحاياها، بعد إقالته من منصب نائب الولي الفقيه وإقصائه من الحياة السياسية ثم فرض الإقامة الجبرية عليه حتى وفاته، لينتقل الرفض إلى الطبقة السياسية الثورية التي كانت تؤيدها، فالتيار الإصلاحي بعد أن كان مدافعا عنيدا عن ولاية الفقيه المطلقة القائمة على التعيين زمن الخميني، أصبح ينادي بولاية فقيه تقوم على الانتخابات وبتحديد صلاحيات الولي الفقيه، والبعض داخل التيار ينادي بـ «وكالة الفقيه» بدلا من ولاية الفقيه، وبعض منظريه لا يؤمن أساسا بها، ويقدم الجمهورية الإسلامية[6].

**أما الإخفاق العملي الثالث** فيظهر على المستوى الشعبي الذي تتزايد المسافة بينه وبين ولاية الفقيه، فلا يمكن إنكار ما أصاب النظرية في الاحتجاجات التي شهدتها إيران عقب انتخاب محمود أحمدي نجاد عشية الانتخابات الرئاسية

---

(١) **المرجع نفسه**، ص ٣١١.

(٢) محمد سليم العوا، **المرجع السابق**، ص ١٤٣.

(٣) علي الأمين، **ولاية الدولة ودولة الفقيه**، بيروت: دار مدارك للنشر، ط٢، يوليو ٢٠١١، ص ٣٩.

(٤) مختار الأسدي، **أزمة العقل الشيعي: مقالات ممنوعة**، بيروت: دار الانتشار العربي ط١، ٢٠٠٩، ص ٣٣٢.

(٥) فاطمة الصمادي، من يخلف خامنئي: المرشحون والقوى الداعمة، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٥/٠٣/١٥، ص ٥.

(٦) **المرجع نفسه**، ص ٧.

العاشرة في ٢٠٠٩، وهي الاحتجاجات التي عبّرت عن نفسها بالحركة الخضراء، وتصاعدت شعاراتها من التشكيك بالنتائج وشعار «أين صوتي؟»، إلى الهتاف ضد المرشد ووصفه بالديكتاتور عبر شعار «الموت للديكتاتور»، وصولا إلى إحراق صور الخميني، والهتاف ضد مجتبى خامنئي، الاسم المطروح كمرشد قادم[١].

### المأسسة: جدلية الثورة والدولة

أهم ما يحسب للنظام الذي أسسه الخميني تجاوزه لمخاطر التقسيم وحفاظه على الوحدة الوطنية لإيران في زمن الفوضى التي أعقبت الثورة. وعلى المستوى المؤسسي أنتج أيضا العديد من مؤسسات صنع القرار التي تتيح للكثير من الفاعلين قدرا من المشاركة، فقد استطاعت الثورة الإيرانية منذ اليوم الأول بناء إطار قانوني ودستوري يحكم حركتها، ويضمن استمرار النظام السياسي. واستكملت هذه العملية من خلال بناء المؤسسات التي انقسمت إما إلى مؤسسات جديدة بالكامل أو معدلة أو حتى مؤسسات قديمة موروثة من نظام الشاه. وقد عكست هاتان المسألتان (الإطار القانوني وبناء المؤسسات) رغبة في إحداث التحول من الثورة إلى الدولة[٢].

واستطاع النظام أن يوجد مجموعة من المؤسسات المرتبطة بأيديولوجية الثورة والنسيج المجتمعي الإيراني، وليس فقط بقيادتها. حيث تجاوز الخميني واحدة من أهم المشكلات التي يتعرض لها نظام يرتبط بزعامة كاريزمية؛ مأسسة النظام الجديد. فقد تكفلت المؤسسات الجديدة التي أنشأتها الثورة، بنقل قيمها إلى الأجيال الجديدة والحفاظ عليها. وتوسيع قواعدها الاجتماعية بما يسمح لها بالتغلغل في وسط المجتمع الإيراني، ويمكّنها من الاستمرار بعد غياب الخميني[٣].

ومنحت مختلف المؤسسات المنتخبة والمعينة قدرا من الصلاحيات جعلها تلعب دورا متباينا في رسم السياسات، هذه التنوع يبقي الباب مفتوحا للتغيير السلمي واحتواء المعارضة، خاصة وأن النظام حافظ على دورية الانتخابات لكل المؤسسات، ما جعله يتمتع بقدر كبير من المرونة مكنته من تجاوز الكثير من الأزمات وضمان استمراريته، وهذه الآلية (الانتخابات) تشكل المرتكز الأساسي للسلطة لتأكيد مواكبتها للأنظمة السياسية المعاصرة وتحقيق «حكم الشعب» خاصة مع نسبة التأييد الكبيرة التي حصل عليها عشية إقرار الدستور الأول للبلاد[٤].

استمرار النظام بهذه الثنائية المؤسساتية عكس عدم قدرته على الانتقال إلى الدولة، إذ ينعدم في الدستور الإيراني التوازن بين السلطات[٥]. فالسلطة التنفيذية منقسمة، والبرلمان يملك حق منح الثقة للوزراء كلّ على حدة – قبل تعيينهم، ولكن في تشريعه للقوانين يجابه بمجلس صيانة الدستور الذي له حق الاعتراض على القوانين إذا وجدها مخالفة للشريعة الإسلامية - وفق العقيدة الشيعية- ، كما يشرف المجلس على انتخابات مجلس الخبراء الذي ينتخب القائد، ويحدد من يحق له الترشح لرئاسة الجمهورية، ومجلس الشورى. لكن في المقابل هذا المجلس يقيد عمله مجلس تشخيص

---

(١) **المرجع نفسه**، ص ٦.

(٢) أمل حمادة، **الخبرة الإيرانية: الانتقال من الثورة إلى الدولة**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٣٥.

(٣) **المرجع نفسه**، ص ٣٥٩.

(٤) انطلق النظام الإيراني من قاعدة شعبية كبيرة جدا عبّر عنها الاستفتاء على الدستور الإيراني في ١٩٧٩ والذي حصل على موافقة الأغلبية المطلقة بـ ٩٨ بالمائة من المصوتين، وهذه الشرعية في جوهرها تعبير عن حالة الزخم الثوري أكثر منها عن استيعاب لطبيعة النظام، إذ على المستوى النخبوي والممثل في المرجعيات الشيعية حينها فإن الأغلبية كانت ضد ولاية الفقيه باستثناء الخميني، ووفق المنطلقات الإسلامية فإن هذه الصفوة هي مصدر الشرعية وليس الانتخابات التي تعتبر آلية ديمقراطية رفضها الخميني نفسه.

(٥) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٣٥٤.

مصلحة النظام الذي له حق البت في الخلافات بينه وبين البرلمان.

وفي التدافع الكبير بين المؤسسات أثبتت الأزمات انحياز النظام في الكثير من المواقف إلى الثورة، وظهر ذلك من خلال استمرار دور المؤسسات الثورية الموازية لمؤسسات الدولة التقليدية؛ سواء ما تعلق منها بالجانب الأمني كالحرس الثوري، أو الطبيعة التشريعية كمجلس تشخيص مصلحة النظام ومجلس الرقابة على القوانين، والتي تمكنت من خلال القواعد القانونية وعلاقاتها بمراكز القوة في المجتمع من ضمان دور يفوق الدور التشريعي الذي يقوم به البرلمان(١).

وما يقطع بذلك وضعية مؤسسة المرشد التي تحسب على الثورة وليس الدولة، وتنتهي إليها الكلمة الأخيرة في صنع القرار، فهو الذي يمسك بتلابيب الحكم. وعلى أهمية الانتخابات إلا أنها ليست معيارا أساسيا أو وحيدا لتأكيد «ديمقراطية» الأنظمة السياسية، فهناك مؤشرات أخرى كثيرة يجب أخذها بعين الاعتبار أيضا، خاصة عند الوقوف على واقع الأحزاب السياسية التي تعتبر المحرك الأساسي للانتخابات، إذ لم تستطع إيران إنتاج أحزاب سياسية رغم محافظتها على دورية الانتخابات، فجلّ الأحزاب التي ظهرت في الساحة السياسية ظلت تسبح في كنف السلطة، فأغلب الأحزاب هي إما أحزاب حكومية أو نشأت بعد وصول مؤسسيها إلى السلطة مثل «كوادر البناء»، لهاشمي رفسنجاني و«جبهة المشاركة» لمحمد خاتمي(٢). وبدل انضواء الأفراد تحت مظلة حزب تبعًا لأهدافه وبرامجه، فإن ما يحدث هو وجود شخصية مركزية يقوم عليها الحزب، ولذلك يكون مستقبل الأخير مرهونا بمستقبل ذلك الشخص وحضوره(٣).

ولم تنجح الأحزاب الإيرانية أيضا في تدوين نظرية حزبية تتلاءم مع الإطار المرجعي للجمهورية الإسلامية، ولذلك بقيت موضوعات عديدة مثل: المجتمع المدني، والحريات، والعدالة، والتعددية، قضايا خلافية شائكة في دائرة الجدال السياسي الإيراني، وما زالت عاجزة عن تقديم إجابات بشأنها. وعلى الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلح الإصلاحات، فإن إيران لا تزال تفتقد تعريفا واضحا لهذا المصطلح حتى من طرف الحركة الإصلاحية نفسها(٤).

وبتحييد هذا البعد (الانتخابات) تتجلى العديد من مظاهر الاستبداد والتسلط في النظام الإيراني، ويأتي منصب «المرشد الأعلى» في مقدمتها، فرغم انتخابه غير المباشر من طرف مجلس الخبراء المنتخب بدوره بشكل مباشر من الشعب إلا أنه يبقى في النهاية معبرا عن «ثيوقراطية» النظام، كما أن الصلاحيات التي يحوز عليها وعدم تحديد مدة زمنية لولايته تتنافى مع مبدأ التداول على السلطة، فالقائد يتمتع بوضع شديد التميز، ويتدخل في عمل كافة سلطات الدولة، وهو ليس جزءا من السلطة التنفيذية، فهو السلطات جميعا من جانب، وهو الحكم بينها حسب الدستور من جانب آخر، لأنه قادر على إلغاء أي قرار يتخذ من قراراتها(٥).

ووجود رؤساء سابقين والتداول المستمر على هذا المنصب صحيح أنها سمة يتميز بها النظام الإيراني عن غيره من الأنظمة العربية التي نادرا ما يوجد فيها رئيس سابق، وهي دليل على حيوية النظام الإيراني(٦). لكن في الوقت نفسه يجب عدم إغفال أن الرئيس هو الرجل الثاني في هرم صنع القرار، فإيران هي الدولة الوحيدة في العالم التي يتنافس فيها رئيس الجمهورية مع قوى أخرى على المركز

---

(١) أمل حمادة، **مرجع سابق**، ص ٢٣٧.

(٢) فاطمة الصمادي، **التيارات السياسية في إيران**، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٢، ص ٣٤٢.

(٣) **المرجع نفسه**، ص ٣٤٧.

(٤) **المرجع نفسه**، ص ٣٤٦.

(٥) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٤٤٧.

(٦) **المرجع نفسه**، ص ٤٩٠.

الثاني في النظام[1]. وبذلك هو يماثل من حيث التراتبية القيادية رئيس الوزراء في الأنظمة العربية، بغض النظر عن طريقة الوصول إذ غالبا ما فشل رؤساء الجمهورية الإيرانيون في تجسيد مشروعيتهم الشعبية عند اصطدامهم مع المرشد الذي يملك آليات عديدة لترويضهم.

وسلوك المرشدين الخميني وخامنئي لم يختلف عن أي حاكم متسلط مستبد، بدايةً بإقصاء المعارضة وكان مراجع الدين الذين تمنحهم مكانتهم الدينية حق الاجتهاد ومخالفة الرأي في مختلف المسائل أول من تم الحجر عن آرائهم بإقصاء كل من يخالف نظرية ولاية الفقيه والتضييق عليهم، وإن اكتفى الخميني في التعبير عن ضيقه منهم بمجرد الانسحاب من قم والانتقال إلى طهران، والتزام الصمت تجاه ذلك التيار الذي يتصدره مراجع آخرون. غير أن تلاميذ الخميني والسائرين على نهجه ذهبوا بعيدا في الهجوم على معارضي ولاية الفقيه، حتى اشتهر هتاف: «الموت لمعارضي ولاية الفقيه»، وهو ما أغضب المراجع الآخرين ولم تفلح جهودهم في محاولة إبطال هذا الهتاف الذي ذاع بين الجماهير واستقر بسرعة بالغة. ولم يبادر الخميني لزجر جمهوره ومطالبتهم باحترام المراجع ومقامهم، ما يعني أنها رسالة في الرد على معارضيه[2].

أما آية الله شريعتمداري الذي كان شريكا للخميني في مقاومة حكومة الشاه، ثم اختلفا سياسيا بعد الثورة بعدة سنوات، بسبب اعتراضه على فكرة ولاية الفقيه وما ترتب عليها من منح سلطات واسعة للولي الفقيه في الدستور الإيراني بعد انتصار الثورة. وظهر هذا الخلاف علانية عندما أسس شريعتمداري الحزب الجمهوري للشعب الإسلامي ليكون المعارض الأساس للحزب الجمهوري الإسلامي، فأبعد عن المسرح السياسي، ثم اتهم بتأييد مؤامرة قادها صادق قطب زاده (وزير خارجية سابق بعد الثورة) لاغتيال آية الله الخميني، فحددت إقامته في بيته حتى وفاته[3].

كما أسست محكمة خاصة برجال الدين من أهم اختصاصاتها القضايا التي تتعلق بالتآمر ضد القيادة أو توجيه الإهانات إليها من قبل رجال الدين ثم كافة التصرفات والأعمال غير الشرعية التي يرتكبها رجال الدين، ثم كافة المنازعات المحلية المخالفة للأمن العام التي يكون أحد خصومها أحد رجال الدين[4]. وبعد اعتراض رئيس الجمهورية أبي الحسن بني صدر على مسألة ولاية الفقيه، ساند الخميني القوى السياسية التي وقفت ضد الرئيس، وهو ما أدى إلى إسقاطه فيما بعد[5].

وسار المرشد الثاني على الدرب نفسه حيث سعى للظهور بمظهر الأب والقاضي العادل بين مختلف التيارات السياسية المتصارعة داخل بنية النظام، لكن الممارسة أثبتت عكس ذلك تماما؛ فانطلاقا من معرفته التامة بأنه يفتقر إلى احترام كبار علماء الدين في البلاد وإلى شعبية الخميني على حد سواء، تحرّك بدايةً ببطء وحذَر لتعزيز موقعه. فأكد للنخب السياسية والدينية في النظام عدم نيته تغيير الوضع القائم لكنه عمد بدهاء إلى بناء ما افتقر إليه كرئيس أي قاعدة مستقلة من الدعم وشبكة شخصية تكون بمثابة «عينيه وأذنيه»[6].

وجعل من نفسه فوق كل الانتقادات، فالمعروف عنه عدم السماح لأحد بانتقاده، فهو أحد الخطوط الحمر القليلة في السياسة الإيرانية، بل عقوبته شبه مضمونة بالسجن. وليست عائلة خامنئي بالمعفية من

(١) نيفين عبد المنعم مسعد، **صنع القرار في إيران والعلاقات العربية الإيرانية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠٠٢، ص ١٨٠.

(٢) فهمي هويدي، **مرجع سابق**، ص ١٤١.

(٣) محمد سليم العوا، **مرجع سابق**، ص ١٤٤.

(٤) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٤٨٧.

(٥) **المرجع نفسه**، ص ٤٧٤.

(٦) كريم ساجد بور، في فهم الإمام الخامنئي: رؤية قائد الثورة الإسلامية الإيرانية، **مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي**، ص ١٠.

هذه المسألة، فضربت قوّات «الباسيج» الموالية للولي الفقيه أخاه الأصغر رجل الدين الإصلاحي هادي الخامنئي ضربا مبرحا بعد إلقائه خطبة انتقد فيها سلطات الولي الفقيه[1].

وعلى الرغم من أنه معروف بالموازن الدقيق فإنه ما برح يفضّل المحافظين على الإصلاحيين. فقاوم رغبة رفسنجاني في التوصل إلى تسوية مع واشنطن، كما أفشل تطلعات خاتمي نحو دولة أكثر ديمقراطية، وميل أحمدي نجاد إلى المواجهة المفتوحة مع أمريكا وإسرائيل[2]. وهو لا يتوانى عن استعمال مؤسسات الدولة لتحقيق أهدافه الإقصائية، ففي الانتخابات الرئاسية ٢٠١٣ لم يقدم مجلس صيانة الدستور سببا قانونيا لرفض ترشح الرئيس الأسبق أكبر هاشمي رفسنجاني، كما لم يبرر المجلس سبب رفضه ترشيح مستشار الرئيس أحمدي نجاد، رحيم مشائي.

ورغم تدخل خامنئي وإصداره «حكم حكومتي» لقبول ترشح مصطفى معين ومهمر علي زادة. إلا أنه لم يفعل الأمر نفسه مع رفسنجاني الذي تم استبعاده رغم المطالب الموجهة له في هذا الصدد[3]. وعلى سبيل المثال أيضا رفض مجلس صيانة الدستور الذي انتهى عام ٢٠٠٨ حوالي ٤٠ بالمائة من مشاريع القوانين التي أصدرها مجلس الشورى، وهو ما يعني أن الانتخابات التشريعية لا تعبر بشكل كاف عن «حكم الشعب»، لأن ٤٠ بالمائة من التشريعات ترد من هيئة غير منتخبة يتحكم في أعضائها المرشد الأعلى، وفي انتخابات ٢٠٠٤ رفض المجلس ترشيح ٢٥٠٠ مترشح، أي بنسبة ٣١ بالمائة من المترشحين، وأغلبهم من الإصلاحيين، ومن بينهم ٨٠ مترشحا كانوا أعضاء في مجلس الشورى السابق[4]. وفي انتخابات ٢٠١٦ رفض المجلس ٩٠ من المرشحين الإصلاحيين (٣٠ من أصل ٣٠٠٠ مترشح).

### النظام الإيراني والقيم الأخلاقية:

وظف الخميني في الثورة ضد الشاه خطابا أخلاقيا جعله مطية لبناء نظام طائفي تسلطي، مستثمرا الخطاب الشعبوي الذي يزخر به القاموس الشيعي، خاصة ذلك المتداول في الطقس العاشورائي ومظلومية كربلاء التي تكرس روح العداء والانتقام من المجتمعات السنية، وسعى إلى تصدير هذا النموذج بحديثه عن ثنائية الاستكبار والمستضعفين مبشرا بدولة مهدوية جعلت الشيعة في حالة هيجان لتحقيق طموحات أثبتت الوقائع أنها مشروع فارسي بلغة دينية شيعية فقط[5].

واستلزم وصول الخميني إلى السلطة والحكم الكثير من التصرفات التي تجاوزت الولاية فيها حدود الولاية المعروفة والثابتة في الأحوال الشخصية إلى التصرف في الدماء والأموال، وهي تصرفات تعتبر حسب الذهنية العامة عند الشيعة وبحسب السائد الفقهي، من صلاحيات النبي والإمام المعصوم أو المأذون من قبلهما، فالسعي للإمساك بالسلطة السياسية الذي يؤدي إلى إزهاق النفوس وإتلاف الأموال ومصادرتها في عصر غيبة الإمام يحتاج إلى المبرر الشرعي المستند إلى أدلة شرعية من الكتاب والسنة[6].

وبعد وفاة الخميني أكد أتباعه الثوريون بصورة أكثر حماسا تمتعه بما يشبه العصمة. ومما يعبر بشكل خاص عن مكانته التي تقترب من مكانة الإمام؛ ضريحه الموجود جنوب طهران والمزود بقبة معدنية مطلية بالذهب وبمآذن فولاذية تكاد تكون

---

(١) **المرجع نفسه**، ص١١.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٠٧.

(٣) فاطمة الصمادي، رفسنجاني ومشائي.. تبعات الإقصاء، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٥/٠٥/٢٣، ص ٢.

(٤) وليد عبد الحي، **إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠**، الجزائر: مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، ط١، ٢٠١٠، ص ١٩٢.

(٥) جاء في مقدمة الدستور الإيراني: «تحمل القوات المسلحة أعباء الرسالة الإلهية، وهي الجهاد في سبيل الله والنضال من أجل بسط حاكمية القانون الإلهي في العالم. وأن يكون القرن الخامس عشر لهجرة الرسول الأكرم – ﷺ - ، قرنا تحقق الحكومة العالمية للمستضعفين وهزيمة المستكبرين كافة، في إشارة إلى ظهور الإمام المهدي. انظر: غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٣٠٤.

(٦) علي الأمين، **مرجع سابق**، ص ٣٤.

نسخة عن ضريح الإمام الحسين في كربلاء وأبعاد أكبر[١].

أظهر تجسيد هذه القيم النظرية على أرض الواقع ما يخالف ذلك تماما، والبداية من آلية معرفة الولي الفقيه، فربط اختيار المرشد بمجلس الخبراء، أدخل في مسألة الاختيار بحد ذاتها شرطا سياسيا يعتمد في مضمونه على كل ما في الانتخابات من تكتيكات ومناورات ووسائل أخرى تحيط بالعملية الانتخابية التي تبعدها أحيانا عن الأخلاقية الصارمة التي ينص عليها المشرع الإسلامي[٢].

وفي اتجاهات أخرى برزت الكثير من الممارسات التي تتنافى مع القيم الأخلاقية التي رفعها النظام وسوّق بها نموذجه للعالم الإسلامي؛ نكتفي بالإشارة إلى مفارقة فاصلة تكشف الانفصام الذي يعاني منه نظام الملالي. فقد جعل الشيعة من تولية الأقارب أحد المداخل لشبهاتهم التي تطعن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويفترض في نموذج الحكم الشيعي أن يخلو من هذه المظاهر، غير أن واقع النظام الإيراني معاكس لذلك تماما، حيث تشكل «العائلية» إحدى سماته البارزة بما تعينه من ملحقات الفساد السياسي الذي يصاحبها، فالنخبة الإيرانية تتميز بكونها عائلية ترتبط فيما بينها بوشائج القرابة والنسب والمصاهرة، بحيث ينتشر أفراد العائلة الواحدة في أكثر من موقع، بل تنغلق بعض المؤسسات أحيانا على أسر وبيوتات بذاتها[٣]. ولا توكل الوظائف العليا إلا للأقارب من الدرجة الأولى لمن هم في السلطة أو أصدقائهم المقربين، والذين يقومون بدورهم بتعيين أقاربهم وأصدقائهم في المواقع الحساسة والمؤثرة[٤]. وتعد هذه العائلية في تكوين النخبة مصدرا مهما من مصادر الإفساد السياسي[٥]. ويعاد تدوير النخبة الإيرانية باستمرار، سواء باستمرار الشخص الواحد في المنصب نفسه لفترات طويلة، أو بتقلبه في مواقع مختلفة على مدار حياته[٦].

وهناك الكثير من حالات الفساد المرتبطة بهذه الظاهرة يمكن الإشارة إلى حالة عائلة القائد آية الله علي خامنئي باعتباره الممثل الأول للنظام، فاسم ابنه مجتبى خامنئي يتردد كثيرا في الأوساط السياسية كأحد الخلفاء المحتملين لأبيه، الذي أصبح رجلا قويا في النظام يجمع بين تأييد الحرس الثوري وقوات التعبئة «باسيج»، وعدد لا يستهان به من رجال الدين، في مقدمتهم آية الله مصباح يزدي.

وكشفت وثيقة لـ» ويكليكس» أن المرشد خامنئي يعدّ ابنه الذي تلقى تعليما دينيا ليخلفه في منصب المرشد. وقد تعاظم حضور مجتبى ونفوذه خلال السنوات الأخيرة في مختلف المؤسسات القوية في إيران، ولعب دورا كبيرا في انتخاب أحمدي نجاد عام ٢٠٠٥، واتهمه مهدي كروبي صراحة بالتدخل في الانتخابات بصورة غير قانونية، وكذلك الحال في إعادة انتخاب نجاد في ٢٠٠٩، وأثناء الاحتجاجات التي أعقبت الانتخابات خرجت شعارات تندد بدور مجتبى خامنئي[٧] ولديه نفوذ مالي وأمني، ويمتد هذا النفوذ إلى خارج إيران، حيث تجمعه علاقات قوية مع قادة كبار في حزب الله، ووجهت له اتهامات بخصوص صفقات تجارية مع الخارج، وسعى خلال السنوات الأخيرة لتذليل العقبات التي تعترضه، وانخرط في الدروس الدينية

---

(١) هاينس هالم (ترجمة محمود كبيو)، **الشيعة**، لندن: الوراق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١، ص ١٥١.

(٢) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٣٥٨.

(٣) نيفين عبد المنعم مسعد، **مرجع سابق**، ص ١٨٣.

(٤) ويلفريد بوختا، **من يحكم إيران؟: بنية السلطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية**، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢٦.

(٥) نيفين عبد المنعم مسعد، **مرجع سابق**، ص ١٨٣.

(٦) **المرجع نفسه**، ص ١٨٤.

(٧) فاطمة الصمادي، من يخلف خامنئي: المرشحون والقوى الداعمة، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٥/٠٣/١٥، ص ٩.

سعيا للوصول إلى مرتبة مجتهد. ودخل في صراع مع حفيد المرشد الأول حسين الخميني، لإدراكه مبكرا أنه أحد العقبات التي تحول دون توليه المنصب، لذلك تم ربط الشباب الذين أطلقوا الاحتجاجات ضد حسين الخميني وحاولوا منعه من التدريس في قم بمجتبى[١].

هذا على المستوى الداخلي، أما خارجيا فقد أجهزت الثورات العربية على آخر القيم الأخلاقية التي لطالما تشدق بها النظام الإيراني خلال العقود السابقة، فبعد صفقاته في العراق مع الشيطان الأكبر، ومساهمته في توسيع الشروخ الاجتماعية بدعم الأحزاب السياسية الشيعية الموالية له، ومليشياتها العسكرية، أبان سلوك النظام الإيراني عقب الانتفاضة السورية أن الاستضعاف يصلح فقط مع الشيعة حين يكونون في موقف ضعف، وأنهم في الحكم يعبرون عن سلطة الغالب وينفذون أوامره بقتل وتشريد السنة تحقيقا للعدالة المهدوية.

# إعلان السودان محاربة التشيع في أفريقيا... الخلفيات والأبعاد

د. محمد خليفة صديق(*)- خاص بالراصد

### مقدمة:

جاء إعلان رئيس جمهورية السودان المشير عمر حسن أحمد البشير في حواره أخيرا مع قناة الإخبارية السعودية عن مخطط تقوده إيران في القارة الإفريقية لنشر التشيع عبر التعليم وسفر البعثات التعليمية إلى طهران وطرق أخرى مختلفة لينقل الاتهامات الشعبية لإيران بنشر التشيع والطائفية لتصبح اتهامات رسمية تصدر عن رئيس دولة كانت إلى وقت قريب تعتبر دولة صديقة لإيران، حيث كشف البشير في حواره أن الجهات المختصة في السودان أعدت دراسات حول مخططات النظام الإيراني لنشر الفكر الشيعي في قارة أفريقيا وتقييم الأخطار الناجمة عنها، خاصة وأنها أسهمت في حدوث خلل اجتماعي في دول مثل نيجيريا، إلى جانب العنف الطائفي.

وقد قام السودان بالفعل بإغلاق المستشارية الثقافية الإيرانية بالخرطوم وملحقاتها من مراكز ثقافية ومراكز لتعليم اللغة الفارسية في بعض مدن السودان الأخرى، وأتبع ذلك بإغلاق السفارة الإيرانية بضاحية المقرن في الخرطوم، ولكن يبدو أن ملف الأنشطة الإيرانية المشبوهة، خاصة في نشر الفكر الرافضي، لم تنتهِ بعد، حيث برز إلى السطح من جديد الحديث على لسان الرئيس البشير، مصحوبا بدراسات علمية ميدانية حددت مكامن الخطر ومواطن الضعف التي يلج منها المد الإيراني لإفريقيا عموما، والسودان خصوصا.

### خلفيات تاريخية وواقعية:

تاريخيا كان افتتاح أول مركز ثقافي إيراني في السودان في عام ١٩٨٨م في عهد رئيس الوزراء السوداني السابق الصادق المهدي، وخلال عهد الإنقاذ تمددت المراكز والمؤسسات الايرانية في البلاد ليصل عددها إلى ٢٦ مركزاً بالعاصمة والولايات حتى لحظة إغلاقها من قبل الحكومة السودانية، بسبب ما أسمته تجاوز التفويض الممنوح لها والأعراف الدبلوماسية.

ولكن بعيداً عن العرف الدبلوماسي ومدى خرقه فإن المسؤولين الإيرانيين استغلوا التعاون من الأوساط السودانية وتواصلوا مباشرة مع قيادات وزعامات بعض الطرق الصوفية السودانية تحت مظلة محبة آل البيت، كما أن المستشار الثقافي كانت له علاقات وثيقة مع حزبي الأمة القومي بقيادة الصادق المهدي، والوسط الإسلامي بقيادة يوسف الكودة، تحت زعم أنه يعمل من أجل الوسطية، ووصل به الأمر بأن يحاضر في إحدى كليات جامعة النيلين، وتقام الأسابيع الثقافية الإيرانية في الجامعات مصحوبة بمعارض الكتاب والتراث الإيراني.

(١) المرجع نفسه، ص ١٠.

(*) كاتب سوداني.

كما استغلت إيران تحسن علاقتها بالسودان في مجال التعاون العسكري لبسط نشاطها المذهبي الهدّام، كما وضح ذلك الرئيس البشير في حوار له مع قناة العربية أن السودان كان له تعاون في مجال الصناعات العسكرية والحربية مع إيران، خاصة في الصناعات التي يصعب على السودان الحصول عليها من جهات أخرى بسبب الحصار الذى كان مفروضا على السودان.

وقد أشار تقرير مهم صدر نهاية عام ٢٠١٢ عن منظمة «بحث تسليح الصراع» البريطانية إلى توزيع الأسلحة الإيرانية في أفريقيا. وتشمل هذه الأسلحة راجمات الصواريخ وقذائف الهاون والألغام الأرضية، وهي أسلحة أنتجت منذ عام ٢٠٠٢، ومثل السودان أبرز الأمثلة الأفريقية على عمق التعاون العسكري بينها وبين إيران حيث يشمل هذا التعاون تصدير أنواع من الأسلحة والذخائر والمعدات الإيرانية للسودان، وذلك قبل تدهور العلاقات بين البلدين وانضمام السودان لتحالف عاصفة الحزم.

ويرى مراقبون أن إغلاق بوابة السودان أمام المد الرافضي جنّب البلاد ويلات مستقبلية كانت ستحدث له أسوة بالبلدان التي دخلها الرافضة، مثل اليمن ولبنان وسوريا إلى جانب العراق والبحرين، حيث ارتبط وجودهم بالأنشطة الدموية العنيفة، كما أنه حصّن الشعب من مذهب منحرف به من السلوكيات ما لا يقبله الشارع السوداني، مثل زواج المتعة وضرب الأجسام بالجنازير وغيرها، وفوق ذلك أصبح حائط صد لغرب أفريقيا وشرقها وجنوبها، مما يقلل حجم التشيع في تلك المناطق رغماً عن أنه دخلها تحت لافتات إنسانية وصناعية وتعاونية.

وهناك عدد من المكاسب جناها السودان من طرده للإيرانيين، حيث حدث تقارب مع القوى الإقليمية في المنطقة مثل السعودية وبقية دول الخليج العربي، والذي انعكس إيجابا في علاقات السودان مع المجتمع الدولي، خاصة أمريكا صاحبة قرار رفع العقوبات الاقتصادية، لتأتي بذلك خطوة انضمام السودان لتحالف دعم الشرعية في اليمن بقيادة المملكة العربية السعودية، معززة لثقة العرب، والخليجيين خاصة، في السودانيين، ثقة انعكست تطوراً في العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والأمنية بين تلك الدول والسودان.

### رؤية البشير للخطر الإيراني في إفريقيا:

وفيما يخص أمن المنطقة والفتنة الطائفية التي تشعل إيران فتيلَها وتسعى لتوسيع اللهب لأفريقيا، نوّه الرئيس عمر البشير في حواره مع قناة الإخبارية بخطورة مشروع التشيّع الإيراني واستهداف طهران لأهل السنة في سوريا وفي العراق ولبنان واليمن، تمهيدا لدولتها الصفوية الممتدة إلى أدغال أفريقيا، وقال إن المسلمين في أفريقيا رغم أنهم أكثرية في عدد كبير من دولها، إلا أنهم ظلوا مستضعفين رغم كثرتهم، ويعانون من الجهل والتهميش لأن الاستعمار الغربي جعل التعليم داخل الكنائس، ونتج عن ذلك إحجام المسلمين عن إدخال أولادهم للكنائس خوفا من التنصير، كما أشار لتنصير عدد من القيادات السياسية في إفريقيا مثل الرئيس السنغالي الأسبق ليبولد سنغور، والرئيس الغيني السابق جون عبد الرحمن».

وحول مداخل إيران لإفريقيا قال البشير: وقد دخلت إيران من نفس الباب الذي دخل منه الاستعمار إلى أفريقيا، وهو باب التعليم، حيث بدأت في توفير المنح والفرص لتعليم أبناء السودان وأفريقيا ومن ثم تحويلهم إلى شيعة اثني عشرية.

وقال البشير إن السودان استشعر هذا الخطر الإيراني الكبير على القارة وأبنائها، فقام بالتعاون مع الأشقاء بالسعي لضرورة مواجهة هذا المشروع الطائفي، فأنشأ السودان جامعة إسلامية هي «جامعة أفريقيا العالمية» والتي تستقبل سنويا ٣ – ٤ آلاف طالب من داخل أفريقيا، بجانب طلاب من أكثر من ٧٠ بلدا حول العالم.

وكشف البشير أن السودان لديه دراسة كاملة لمخطط إيران ونشاطها المذهبي لتشييع المسلمين في إفريقيا، ووصف هذا النشاط بأنه خطير بكل المقاييس، وهدفه إضعاف المسلمين، مؤكداً

حصوله على معلومات بتشييع حوالي ٥ ملايين مسلم في نيجيريا، وهي أكبر دولة في إفريقيا من حيث عدد السكان، ووصف ذلك بأنه رقم كبير، ومؤشر خطير جداً، خصوصاً أن هذا النشاط الإيراني أحدث خللاً اجتماعياً في نيجيريا، وأسهم في تفشي العنف الطائفي الذي تغذيه طهران، علما بأنه لم يكن هناك حضور للشيعة في إفريقيا سابقاً، وقال البشير إن هذا النشاط الإيراني الهدام يوجب علينا مضاعفة الجهود لتحصين المسلمين من خطر التشيع والمد الإيراني في المنطقة.

وقال البشير في الحوار المذكور إن السودان يتحمل اليوم عبء التصدي لمشروع تشييع القارة الإفريقية من خلال فتح أبواب الجامعات السودانية لأبناء القارة، إلى جانب إسهامه في البعثات التعليمية في الدول الإفريقية، لتقويض مخطط إيران لنشر التشيع في القارة الإفريقية عبر مجال التعليم، وسفر البعثات التعليمية والإعلامية إلى طهران.

وقال البشير إن السودان لم ولن يندم على مقاطعته إيران ولا يأبه بتقنيتها الحربية التي كانت هي فقط الفاعل المستتر في جملة العلاقات السابقة بين البلدين، والتي وضع حدّا لها، وأضاف: «قناعتنا راسخة بأن هناك حلف ثلاثي (صهيوني صليبي فارسي)، وهو الذي يدير كل العمليات في المنطقة العربية، وما يحدث في سوريا وفي اليمن واضح جدا، وما يحدث كذلك في العراق واضح جدا، وحتى في لبنان وبكل أسف حتى داخل ليبيا كل هذه القضايا واضحة جدا، إنها تدمير للمنطقة العربية، وإبادة للمسلمين السنة، حيث إن أهل السنة في العراق والمدن السنية في العراق يتعرضون إلى استهداف وجرائم كبيرة جدا، نعم وجود «داعش» كان عنصرا مغذيا للتبرير لاستهداف المدن السنية في العراق، والمحاولة المستمرة لإيقاف الدعم من أجل الإجراءات الإنسانية وإيصال الإغاثة في بعض المناطق في سوريا عامة وفي حلب تحديدا، كنموذج، لذلك في ذهننا مخطط لتقسيم المنطقة ما بين إسرائيل، وللأخيرة مشروع «إسرائيل الكبرى» ممتد من الفرات إلى النيل، وأيضا هناك مشروع «الدولة الصفوية» التي تحاول ألا تكتفي بخريطة فارس القديمة بل تحاول التمدد حتى في المناطق العربية داخل الجزيرة العربية، وفي الهلال الخصيب في سوريا ولبنان وفي جنوب الجزيرة في اليمن، طبعا نحن متابعون الاختراق الكبير في أفريقيا وفي عملية تشيّع تقوم بها إيران بصورة كبيرة جدا، حيث أنشئت الآن الكثير من الجامعات، وهناك الكثير من الفرص التي تكون في شكل منح دراسية للدراسات العليا، لأبناء المسلمين في أفريقيا، علما بأن غالبية المسلمين في أفريقيا، في الدول الأفريقية التي كانت ترزح تحت نيران الاستعمار كانوا محرومين من التعليم لأن التعليم كان في الكنائس، حيث أتيحت فرص التعليم لأبناء غير المسلمين، أو حتى أبناء المسلمين الذين دخلوا تلك المدارس حيث تعرضوا لعمليات تنصير، رغم أن أفريقيا كانت قارة مسلمة قبل دخول الاستعمار، ولكن الاستعمار اخترقها بالكنائس، وبقي التعليم وسط المسلمين ضعيفا، ولذلك نقول إيران استغلت هذا الضعف وبدأت تعطي منحا دراسية لعدد كبير جدا من الطلاب في أفريقيا وعبر ذلك يتم تشييعهم، وإرسالهم ليصبحوا هم بدورهم عناصر لنشر المذهب الإثني عشري الرافضي، بل بدأت تطلق مدارس وجامعات داخل أفريقيا ولذلك فإن تقسيم مسلمي أفريقيا إلى سنة وشيعة رغم ضعف المسلمين في أفريقيا بسبب قلة التعليم، يشكل خطرا كبيرا جدا، وهي تعمل بشدة لمحاصرة كافة المنطقة العربية من كل الاتجاهات والهدف هو أنه عندما يضعف العالم العربي يفسح المجال بكل سهولة لإقامة كيان دولة إسرائيل الكبرى والدولة الصفوية التي يخطط لها من جديد».

وحول الأثر السلبي أو الضرر الذي وقع على السودان جرّاء القطيعة بين الخرطوم وطهران سياسيا واقتصاديا، قال البشير: «العلاقة مع إيران كانت في بعدها السياسي إلى حد ما يبرز في

المحافـل الدوليـة، ولكـن في المجـال الاقتـصادي لم يكـن هنـاك تعـاون يـذكر بـين البلـدين، لأننـا دائمـا كنـا نـصطدم في أي محاولـة لتطـوير علاقاتنـا الاقتـصادية مـع إيـران بموضـوع الـديون، حيـث كانـت لإيـران ديـون محـدودة علـى الـسودان منـذ أيـام شـاه إيـران، في عهـد الـرئيس الأسـبق جعفـر محمـد نميـري، ولكـن الفوائـد الربويـة علـى هـذه الـديون أدّت إلى تـضخمها، وكنـا دائمـا نـصطدم بـصعوبة كـبيرة وتعنـت وقـسوة في إجـراء أي تطـور في علاقـات اقتـصادية أو تجاريـة، مـا لم تحـلّ قـضية الـديون، وفي فـترة الـرئيس الإيرانـي محمـود أحمـدي نجـاد، حـاول أن يتجـاوز هـذه المرحلـة ولكنـه اصـطدم هـو الآخـر بنفـوذ سـلطات البنـك المركـزي وتبـادل مواقـف، فكانت هي العقبة الأساسية».

وقـال البـشير: «كـان هنـاك تعـاون في مجـال التـصنيع الحربـي ... محـدود جـدا، وكـان الـدفع هنـا بمقابـل، ولكـن بالنـسبة لنـا كنـا نجـد فيهـا بعـض التقنيـات الـتي حرمنـا مـن التـزوّد بهـا مـن عـدد كـبير مـن بـلاد العـالم المتقدمـة بـسبب العقوبـات الـتي فرضـت علـى الـسودان، فكانـت مـلاذا اضـطراريا ملحّـا، ولكـن بالتأكيـد مـا فقـدناه في قطيعـة علاقتنـا مـع إيـران، هـو فقـد التعـاون في مجـال التـصنيع الحربـي مـن بوابـة الجزيئيـة التقنيـة المطلوبـة، ولكـن علـى الـصعيد الاقتـصادي لـيس هنـاك علاقـات أو تعـاون يـذكر في المجـال الاقتـصادي، وبالتـالي لـيس هنـاك مـا خـسرناه اقتـصاديا، جـراء هـذه القطيعة».

## أبعـاد الـدور الـسوداني في محاربـة المخطـط الإيراني في إفريقيا:

مـن الواضـح أن قـرار الـسودان بقطـع علاقاتـه مـع طهـران وإغـلاق سـفارتها في الخرطـوم جـاء بعـد تـشاور ودراسـات علميـة حـددت مكـامن الخطـر ومـواطن الـضعف الـتي يلـج منهـا المـد الإيرانـي لإفريقيـا عمومـا، والـسودان خـصوصا، ومـن ثـم سـعى الـسودان لحمـل هـذا العـبء في التـصدي للمـد الرافـضي في إفريقيـا، عـبر عـدد مـن الطـرق، منهـا: زيـادة الفـرص التعليميـة للطـلاب في القـارة وقبـولهم في جامعـة أفريقيـا العالميـة في الـسودان، وهـي جامعـة عالميـة كانـت تـسمى في الـسابق المركـز الإسـلامي الإفريقـي، كمـا قـاد الـسودان نـشاطا فكريـا ودعويـا عـبر مجمـع الفقـه الإسـلامي، وبعـض الجامعـات جعـل الكـثيرين يتراجعـون عـن اعتنـاق الفكـر الرافـضي، ثـم أتـت الخطـوة الكـبرى مـن المجلـس الـوطني (البرلمـان الـسوداني) الـذي شـرع قانونـاً يجـرّم مـن يـسب الـصحابة، وصـحب ذلـك تنقـيح لـبعض مقـررات المـدارس الـتي أدخلـت فيهـا بعـض صـور الفكـر الشيعي.

كـذلك تحـرك الـسودان بجديـة ضـد أنـشطة إيـران لنـشر التـشيع وبـسط وجودهـا العـسكري والاقتـصادي الآخـذة في التزايـد في إفريقيـا، لتوسـيع نفـوذ إيـران في المنطقـة، وهـو مـا يتطلـب مواجهـة الأمـر بجهـد جمـاعي مـدروس ومؤسـس لمعالجـة الـداء قبـل اسـتفحاله، في ظـل الأحـداث المتواليـة والـسريعة والمـؤثرة علـى الأمـن والـسلام في إفريقيـا، والـتي تـستوجب إيجـاد إسـتراتيجية إسـلامية عربيـة موحـدة مـستقبلية تتعامـل بجديـة مـع كـل الأخطـار المطروحـة، وعلى رأسها الخطر الإيراني.

وقـد وصـلت مخـاوف المـد الإيرانـي في إفريقيـا إلى مـستوى التهديـد، فقـد اسـتطاعت إيـران أن تخـدم تطلعاتهـا للوجـود الكـبير في إفريقيـا لـتمكين الحـوثيين علـى الـضفة المقابلـة للبحـر الأحمـر مـن إفريقيـا، حتـى تحـول الـيمن إلى إقلـيم تـابع لهـا، ولكـن جـاءت «عاصـفة الحـزم» وأطاحـت بكـل الحـسابات الـتي كانـت حتـى وقـت قـصير في حكـم المؤكدة.

وبعـد إغـلاق بـاب الـسودان في وجـه إيـران كقاعـدة تنطلـق منهـا نحـو إفريقيـا، سـعت إيـران لطـرق أبـواب أخـرى لتكـون سـندها الـداعم في إفريقيـا، وتـساعدها في تحقيـق حلمهـا الـذي لا تـستطيع تحقيقـه مـن الـسودان، وصـولا للـتحكم في الممـرات المائيـة العربيـة مـن مـضيق بـاب المنـدب وحتـى

قناة السويس، على طول البحر الأحمر، مع ضمان وجود إيراني في كل دول إفريقيا.

إن اعلان السودان محاربة التشيع في إفريقيا يحتاج بالضرورة القصوى وقوف الدول العربية والإسلامية مع السودان في استراتيجيته لمحاربة التشيع في إفريقيا لضمان عدم تمدد إيران في الفراغات التي أوجدها الغياب العربي، والسعي لتأهيل دعاة أفارقة متخصصين في تبيين عقائد الرافضة بأسلوب علمي وموضوعي وسطي باللغات المحلية المعروفة في إفريقيا، والاستفادة القصوى من القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية لتخصيص مساحات للدعاة والعلماء الأفارقة لمخاطبة المسلم الإفريقي داخل القارة باللغات المتاحة لبيان الخطر الإيراني وسبل مكافحته وتطويقه.

## الفكر النسوي وأثره على ارتفاع معدلات الطلاق

فاطمة عبد الرؤوف(*) - خاص بالراصد

«أستطيع أن أنفق على نفسي فأنا أحصل على راتب يساوي راتبه» هذه هي الكلمات التي قالتها السيدة الريفية التي تعمل معلمة ردا على والدتها التي تنصحها بحسن التعامل مع زوجها ووجوب طاعتها له، المعلمة التي على وشك الطلاق بسبب خلافات كثيرة ليس بينها أمر جوهري، فكل ما هناك خلافات صغيرة وكثيرة تحمل اختلافا في وجهات النظر، وفي كل مرة تصرّ المعلمة أن يعاملها الزوج معاملة الند للند وإلا فهي لا تحتاجه أو كما قالت لوالدتها إنها تعمل مثله ولديها راتب يساوي راتبه وتستطيع أن تنفق على نفسها جيدا.

أما تلك الطبيبة الشابة التي تركت منزل الزوجية طالبةً للطلاق فتقول إنها لا تقبل أن يعاملها زوجها معاملة أقل من تلك التي تحظى بها في مكان عملها فهي لم تدرس كل تلك السنوات وتتفوق في دراستها إلا كي تعامل كـ «دكتورة» وأن على زوجها أن يتعامل معها في البيت بالطريقة نفسها.

وهذه الصحفية التي أقامت دعوى خلع بسبب الغيرة التي يبديها زوجها بسبب الاختلاط بالزملاء والمصادر أثناء عملها الصحفي ترى أن هذه هي طبيعة عملها الذي لا يمكنها التنازل عنه بينما يمكنها التنازل عن هذا الزوج الذي يعيش بعقلية «سي السيد» على حد تعبيرها.

أما هذه الإدارية فابتسمت لي وهي تقول: أُنفق مثل ما ينفق في البيت حتى يكون لي من القرار مثل ما له، فمن يملك يحكم وإذا حدث وتم طلاقي وهو أمر ليس مستبعدا، فأنا لا أحتاج إليه، وإذا خيّرني بين عملي وبينه فلن أتردد في اختيار عملي، عملي هو الأمان الحقيقي وليس ظله.

أما هذه الأستاذة الجامعية التي حصلت على الطلاق مؤخرا فلم يكن هذا الطلاق مفاجئا على الإطلاق فقد ظلت لسنوات في حالة صراع مع زوجها المشترِك معها في نفس القسم، صراعِ مَن يحقق الدرجة أولا ومن يحصل على الترقية قبل الآخر، وكانت كثيرا ما تتّهمه أنه يحاول إهدار وقتها الثمين بسبب طلباته الخاصة حتى يثبت أنه الأكثر نجاحا بينما هي ترى أن لديها مقومات نجاح أعلى إلى أن حققت هدفها واستردت وقتها وتم الطلاق.

### الندية والطلاق

هذه النماذج السابقة هي نماذج من الواقع، قد يكون هناك رتوش هنا وهناك، وأسباب أخرى إضافية تساعد على تعميق المشكلات والصراعات داخل البيوت وتعجل بوقوع الطلاق لكن تبقى النديّة واحدة من أهم أسباب الطلاق الذي تعاني منه بلادنا، فالظروف الاقتصادية الصعبة وتدخّل الأهل بل حتى مشكلات العلاقة الخاصة كلها أسباب قديمة كانت موجودة من قبل ولم تكن معدلات الطلاق تتفجر بهذا الشكل الكارثي فما

(*) كاتبة مصرية.

هـو المـتغير الـذي حـدث في واقعنـا وأدى لهـذه التحولات؟

يـشير بعـض المختـصين لوسـائل التواصـل الاجتماعي وما سبّبته من حالة سيولة في العلاقات، ويـشير الـبعض الآخـر للمواقـع الإباحيـة وكليبـات الأغـاني الـتي تـشيع الفاحـشة، وهـي أسـباب وجيهـة لرفع معدلات الطلاق بالفعل.

لكـن هـذا الحجـم الـضخم مـن حـالات الطـلاق يـشير إلى أن هنـاك مـتغيرا أكثـر عمقـا حـدث في العقـل الجمعـي وأن هنـاك نمطـا معينـا مـن الثقافـة الجديـدة بـدأ بعمليـة إزاحـة للثقافـة القديمـة، وفي اعتقـادي أن هـذا المـتغير هـو ثقافـة المـساواة المطلقـة الـتي بـشرت بهـا «الـسيداو» وعملـت عليهـا مـؤتمرات المـرأة الأمميـة بـدأب شـديد، وتم تحويلـها لـبرامج محـددة لها مـدى زمـني معـين وبخطـط مرنـة تختلـف حـسب التركيبـة الـسكانية والـشريحة العمريـة المـستهدفة، وتم متابعـة النتـائج بـشكل دوري حتـى بـدأت ثمـار هـذه الأفكـار تـؤتي أكلـها بتفكيـك الأسـرة النمطيـة كمـا يطلقـون عليهـا، ومـا النمـاذج التي استشهدتُ بها إلا ثمرات لهذه الأفكار.

ويكفـي في هـذا الـصدد أن نـتمعن فيمـا تطرحـه المـادة ١٦ مـن اتفاقيـة «إلغـاء كافـة أشـكال التمييـز ضـد المـرأة» الفقـرة الأولى حيـث تـنص علـى أن (تتخـذ الـدول الأطـراف جميـع التـدابير المناسـبة للقـضاء علـى التمييـز ضـد المـرأة في كافـة الأمـور المتعلقـة بـالزواج والعلاقـات العائليـة، وبوجـه خـاص تـضمن، علـى أساس المساواة بين الرجل والمرأة:

(أ) نفس الحق في عقد الزواج.

(ب) نفـس الحـق في حريـة اختيـار الـزوج، وفي عـدم عقد الزواج إلا برضاها الحر الكامل.

(ج) نفـس الحقـوق والمـسؤوليات أثنـاء الـزواج وعنـد فسخه.

(ح) نفـس الحقـوق والمـسؤوليات بوصـفهما أبـوين، بغـضّ النظـر عـن حالتهمـا الزوجيـة، في الأمـور المتعلقـة بأطفالهمـا وفي جميـع الأحـوال، يكـون لمـصلحة الأطفال الاعتبار الأول.

(هـ) نفـس الحقـوق في أن تقـرر، بحريـة وبـإدراك للنتـائج، عـدد أطفالها والفاصـل بـين الطفـل والـذي يليـه، وفي الحـصول علـى المعلومـات والتثقيـف والوسـائل الكفيلـة بتمكينهـا مـن ممارسـة هـذه الحقوق.

(د) نفـس الحقـوق والمـسؤوليات فيمـا يتعلـق بالولايـة والقوامـة والوصـاية علـى الأطفـال وتبنّـيهم، أو مـا شـابه ذلـك مـن الأعـراف، حـين توجـد هـذه المفـاهيم في التـشريع الـوطني، وفي جميـع الأحـوال يكـون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول.

(ز) نفـس الحقـوق الشخـصية للـزوج والزوجـة، بمـا في ذلـك الحـق في اختيـار اسـم الأسـرة والمهنـة ونـوع العمل.

(ح) نفـس الحقـوق لكـلا الـزوجين فيمـا يتعلـق بملكيـة وحيـازة الممتلكـات والإشـراف عليهـا وإدارتهـا والتمتـع بهـا والتـصرف فيهـا، سـواء بـلا مقابل أو مقابل عوض).

الفقـرة ج في هـذه المـادة تتحـدث عـن المـساواة الكاملـة في الحقـوق والواجبـات أثنـاء الـزواج ولا حـديث هنـا بـالطبع عـن التكامـل، هـذه المساواة الـتي تم تـسويقها في المسلـسلات والـبرامج الحواريـة ومحاضـرات المـدارس والجامعـات والكتـب المدرسـية مـستثمرة المظـالم الـتي قـد تتعـرض لهـا المـرأة أثنـاء زواجهـا أتـت أكلـها، قـد لا تـدرك الـسيدة الـتي تـصرخ عنـد كـل خـلاف إنهـا «صـاحبة مرتـب» أنهـا منـسحقة أمـام مخطـط شـيطاني يبـدو في ظـاهره منقـذا ومخلـصا بينمـا في باطنـه مـدمرا ومفككـا، هـذه الـسيدة قـد لا تكـون سمعـت أبـدا عـن «سـيداو» ولا عـن مـؤتمرات بكّـين، لكنهـا وعلـى الـرغم مـن ذلـك تنفذ بحرفية شديدة ما جاء في هذه المقررات.

عـن هـذه الـتغيرات الاجتماعيـة يقـول الـدكتور أحمـد المجـدوب: (كمـا أن الـتغيرات الاجتماعيـة تمثلـت في زيـادة فـرص عمـل المـرأة، وظهـور دعـاوى المـساواة الكاملـة والمطلقـة بـين الرجـل والمـرأة، ومـا فيهـا مـن تطـرف فهـو يناصـب مبـدأ القوامـة للرجـل العـداء، وظهـرت المطالبـة بمـا يـسمى حقـوق المـرأة،

مما جعل العلاقة المستقرة في الغالب تعاني من الاضطراب والخلل، وهذه التغيرات لم يصاحبها توعية كافية للفتيات بالكيفية المرادة للحصول على حقوقها، ولم يتم توعيتها من أجل الإبقاء على الأسرة والزواج مع أخذ حقوقها بحيث لا تشذ عن الأوضاع الفطرية والطبيعية، فالدعاوى البراقة كثيراً ما تخدع المرأة ويجعلها تتنازل في مقابل حقوقها المزعومة عن أسرتها واستقرارها، فحدث تغير أدوار داخل الأسرة، فحتى الثلاثين عاماً الماضية كان الزوج يقود الأسرة بسلام وهدوء بدون دعاوى وشعارات، لكن مع مساهمة المرأة في الإنفاق على الأسرة جعلها تطالب بالمساواة، وقد تصدر القرارات الأسرية من منطلق أنها تساهم مثله في نفقات المنزل لأن المرأة في هذه الحالة كما يقولون بالبلدي «تستقوي» على زوجها وتطالب بالطلاق عند أي خلاف).

هذه النديّة المقيتة تمرر للعقل الباطن للفتاة منذ سن صغيرة منذ أن يقال لها إن شهادتك سلاحك، والحقيقة أن التعليم سلاح حقيقي ضد الجهل، لكن العبارة تقال في سياق تحذير الفتاة من غدر الزوج الذي تؤمنه بالحصول على الشهادة ثم الحصول على العمل ومن ثم تتقي شره فإن أحسن في علاقته بها فالأمور طيبة وإن كان هناك إساءة أو شبهة إساءة فلا صبر ولا مجاهدة ولا أي شيء من الثقافة القديمة، ثقافة المثل الشهير: (المرأة اللي صبرت دارها عمرت)، بل ذهاب للطلاق، فإن لم يكن فالخلع فهي لم تعد بحاجه لمهره وصداقه!

وبالتالي فلا نندهش مما أعلنته وكشفت عنه الهيئة العامة للإحصاء في المملكة العربية السعودية عن إحصائية حول المسح القومي للربع الثالث لعام ٢٠١٦ حيث ظهر فيها ارتفاع عدد المطلقات العاملات في المملكة إلى قرابة ٧٣ ألف مطلقة في حين بلغ عدد النساء المطلقات غير العاملات لقرابة ١٥ ألف مطلقة، أي أن نسبة طلاق المرأة العاملة خمسة أضعاف المرأة التي لا تعمل، قد يكون السبب في ذلك أن المرأة غير العاملة بحاجة لمن ينفق عليها فتبقى مرغمة على حياة لا تريدها، لكن المؤكد أيضا أن الكثيرات يمارسن الاستقواء بالراتب والعمل ويطالبن بالندية والمساواة الكاملة، وربما تلجأ بعض النساء للطلاق بسبب الضغوط الهائلة التي تتعرض لها في محاولة التوفيق بين العائلة والعمل.

## أرقام مرعبة

إذا أردنا أن نعرف الحجم الحقيقي لعملية التفكيك والهدم التي تتعرض لها بُنية المجتمع فإن حاجتنا للغة الأرقام تكون بالغة الأهمية، وهذه نظرة سريعة ولكنها مفزعة مرعبة تبين بعضا من جوانب الكارثة التي ينزلق إليها المجتمع:

- وفقاً لإحصائيات وزارة العدل في المملكة العربية السعودية لعام ٢٠١٥ فهناك ٧،٨ حالات طلاق تحدث في السعودية كل ساعة، أي نحو ١٨٨ حالة يومياً.
- أما تونس فتسجل ١٠٠٠ حالة طلاق شهرياً، وفقاً لمركز الإحصاء الوطني التونسي، أي نحو ٤ حالات كل ٣ ساعات، وهو رقم ضخم لمجتمع يبلغ عدد سكانه نحو ١١ مليون نسمة.
- وفي العراق ارتفعت حالات الطلاق بنسبة ٧٠٪ في السنوات العشر الأخيرة، وأصبحت تسجل حالات الطلاق أكثر من ٦٠ ألف حالة سنوياً.
- أما الجزائر فقد وصلت عدد حالات الطلاق فيها إلى ٦٠ ألف حالة سنوياً، أي حالة كل ١٠ دقائق.
- أما مصر فالوضع فيها كارثي بمعنى الكلمة حيث سجلت الإحصاءات الدولية بالأمم المتحدة أخيرا ارتفاع نسبة الطلاق فى مصر حتى أصبحت الأولى عالميا.

وتشير آخر إحصائية للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أن هناك حالة طلاق كل ٦ دقائق، بمعدل ٤٠٪، وهذا يعني أن مصر أصبحت الأولى في العالم العربي في عدد حالات الطلاق، إذ ارتفعت نسبة الطلاق من ٧٪ لتصل إلى ٤٠٪ خلال الخمسين عاماً الأخيرة فقط.

ووفقاً لجهاز التعبئة والإحصاء، سجلت مصر حالة طلاق كل ٦ دقائق خلال عام ٢٠١٣، أي ٢٤٠ حالة طلاق يومياً.

كما بلغ إجمالي عدد حالات الخلع والطلاق عام ٢٠١٥ ربع مليون حالة، بزيادة ٨٩ ألف حالة عن عام ٢٠١٤.

### الخلع والمساواة

إذا كان الخلع حقا للمرأة أقرّته الشريعة الإسلامية لمن تريد أن تفارق زوجها لبغضها إياه وعدم قدرتها على معاشرته بالضوابط الفقهية المعروفة فإنه من الملاحظ أن النساء توسعن فيه كثيرا جدا حتى أن الدكتور شوقي علام مفتي الجمهورية صرح بأن قانون الخلع الصادر عام ٢٠٠٢ من ضمن أسباب زيادة نسب الطلاق.

فما الذي دفع النساء للتساهل كثيرا في طلب الخلع؟ هناك بلا شك أسباب موضوعية وراء الكثير من حالات الخلع لا أستطيع أن أنكرها كسوء خلق الزوج الذي لا يُحتمل، وبطء إجراءات التقاضي في حال طلب الزوجة التطليق، فلا يكون أمامها من حل إلا اللجوء للخلع، لكن قلة صبر بعض الزوجات وعدم منح أنفسهن فرصة ثانية لمحاولة الحوار والإصلاح هي ظاهرة تحتاج للتأمل ووضعها تحت دائرة الضوء.

الاستقلالية الشديدة والنديّة المبالغ فيها والتحسس الشديد لكل كلمة من الزوج أو أهله، بل لا أبالغ إن قلت التوجس وسوء الظن واستسهال إنهاء وقضم رابطة الزوجية، كل هذا أحد الثمار المرة لفلسفة المساواة البائسة التي صورت للمرأة أنها في حياتها الزوجية تدخل لمعركة قد تفقد فيها هويتها واستقلالها، لذا فعليها أن تدخل مسلحة وأهم أسلحتها هو عملها المأجور الذي يحفظ لها كرامتها التي ينبغي أن تكون بالغة التوجس وهي تحميها فلا تقبل ولا تمرر أي كلمة أو أي موقف لا تحقق فيه مساواتها الكاملة.

بل وأعرف من النساء من تتجاوز فكرة المساواة لفكرة السيطرة والاستحواذ على الزوج وهي ترى أن هذا حقها، وتصبح علاقة زوجها بأهله مثلا ضمن دائرة ملكيتها الخاصة أو حقوقها التي تتوهمها وبالتالي تتوتر العلاقة الزوجية كثيرا، ومع أول هفوة أو خطأ أو ما تتصور هي أنه كذلك لا تجد صعوبة كبيرة في اللجوء للخلع كأسرع وأسهل طريقة لفصم عرى الحياة الزوجية دون أي شعور بالألم أو الندم والبعض منهن يقمن بعمل احتفال كلون من التقليد الجديد الذي قد ينتشر في المستقبل القريب، ربما يكون السبب في هذه التقليعة هو التأكيد للنفس وللآخرين أنه ليس هناك ما نتألم من أجله بل العكس نحن سعيدات ونحتفل أيضا!

إن أفكار المساواة المطلقة التي قتلت الكثير من المشاعر الناعمة الرقيقة التي كانت تعيش في قلب المرأة مرشحة كي تتحول لأفكار الانحياز الكامل للأنثى ومن ثم لمزيد من الانهيار الاجتماعي والتفكك الأسري كما لو كنا نسير على نفس الطريق التعيس الذي مشته أوربا من قبلنا.

## رواية رحلة الدم...
## إبراهيم عيسى يتعرى

**أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد**

في ظني أنه ليس هناك من يسعد بإصدار رواية «رحلة الدم .. القتلة الأوائل» الصادرة في نهاية سنة ٢٠١٦ للكاتب الصحفي المصري إبراهيم عيسى أكثر من الشيعة والغرب وأعداء الإسلام، ذلك أن الرواية الطويلة جدا، والتي تجاوزت صفحاتها الـ ٧٠٠ صفحة، كلها تؤكد على ثلاث مسائل رئيسة يحاول هؤلاء بكل الطرق أن يؤكدوا زعمهم بأنها راسخة في الذهن الإسلامي منذ صحابة رسول اللّه ﷺ وحتى اللحظة

(*) كاتب مصري.

ألا وهي: «التكفير والعنف والمادية»، حيث لا يفتأ يروج الغرب والموالون له وبشكل صريح أنهم الأساس الذي انطلق منه المسلمون في نشر دعوتهم وإجبار الناس على الانضواء تحت رايتهم وذلك في إطار جهودهم للحد من التمدد الإسلامي ونشر «فوبيا» بين الأمم من هذا الدين ورجاله.

**وعلى الرغم مما مثلته رواية «مولانا» التي قدمها إبراهيم عيسى قبل أربع سنوات من خطورة**، ذلك أنها تناولت قضايا مهمة وحساسة إلا أنها لا تقارن على الإطلاق برواية «رحلة الدم»، فالأخيرة كانت ضربا مباشرا وصريحا في صحابة الرسول ﷺ، الذين هم تلامذته الأوائل، والمعبرون بشكل أكبر عن قيم الإسلام وتوجيهاته، وعليه فإن وصف ما هم عليه من هذه السلوكيات السلبية في مجملها هو إسقاط مباشر على الإسلام ذاته.

**ومن هنا جاء رفض وفضح مجمع البحوث الإسلامية لافتراءات عيسى في هذه الرواية** وإصداره تقريرا حولها سنعرض لأبرز ما جاء فيه لاحقا.

## رحلة الكذب والتشويه

ليس ثمة مبالغة في القول بأنه لولا إهداء إبراهيم عيسى والتنويه الذي كتبه في مقدمة روايته فضلا عن تلك الكلمات القليلة التي تحدثت عن الرواية في الصفحة الأخيرة من الغلاف وذكر بعض الصحابة بأسمائهم لما تخيل القارئ أن تكون شخصيات الرواية هي شخصيات لصحابة الرسول الكريم ﷺ، وإنما هي «عصابة» لا يشغلها إلا «المال والنساء وسفك الدماء».

ربما من الطبيعي أن تتضمن السيرة الذاتية لكل امرئ على وجه الأرض - بعيدا عن الخلاف حوله - ما يمكن أن نعده جوانب إيجابية وما يراه البعض جوانب سلبية، فتلك عادة البشر لكن إبراهيم عيسى وخلال روايته تناول أغلب شخصيات الرواية وبينهم صحابة وكأنهم ذئاب بشرية، فلا يمكنك على الإطلاق أن تستشعر بالرضا تجاه أية شخصية من بينهم، بل إنك حتما ولا بد وأن تنظر لكل منهم على حدة باعتباره رجلا ماديا انتهازيا متآمرا وحقيرا لا يسعى إلا لتلبية نداءات الرغبة في السلطة أو المال أو شهوة الجنس، وهو موقف بكل تأكيد يجافي حقيقة وواقع صحابة الرسول ﷺ.

ومن ثم فإن ما قدمه إبراهيم عيسى في هذه الرواية لا يعدو عن كونه «رحلة كذب أو رحلة تشويه أو رحلة افتراء أو رحلة ادعاء أو رحلة فتنة أو رحلة الدعوة للرذائل بل ورحلة الملل أيضا»، وهي الرحلة التي يبدو أنها تجسد بعضا من خطوات مشروعه الذي يستهدف في النهاية القضاء على النموذج والقدوة ويفتح الأبواب على مصراعيها أمام تحلل الجميع من القيم والأخلاق حيث بدأها برواياته خلال مرحلة شبابه، التي صنفها البعض بأنها روايات «بورنو» من مثل «دم على نهد» ثم جاءت رواية «مولانا» التي عرف كل من قرأها أو شاهد ذلك الفيلم السينمائي الذي نُسج منها وحمل نفس اسمها أنها ليست إلا محاولة لتشويه صورة الدعاة والوعاظ والحديث عن وحدة الأديان وغير ذلك من القضايا الشائكة ثم تأتي أخيرا رواية «رحلة الدم.. القتلة الأوائل» التي ووفق ما قال عيسى نفسه إنها بداية سلسلة يعتزم كتابتها، لكن وكما اتضح من جزئها الأول فإن المقصود بالقتلة الأوائل هم صحابة النبي ﷺ، وبذلك تكون غاية هذه الروايات تشويه صورة الصحابة رضوان الله عليهم.

وعلى الرغم من أن أهل السنة والجماعة حدّدوا موقفهم بشكل صريح من الصحابة رضوان الله عليهم فلم يعتبروهم ملائكة، وفي ذات الوقت قيّموا مواقفهم وسلوكهم وفق ما يجب أن يلتزموا به من معايير التأدب معهم رضوان الله عليهم إلا أن إبراهيم عيسى يحاول بكل الطرق أن ينتصر لفكرة مذهب الشيعة الذين يتخذون موقفا عدوانيا تجاه الصحابة بانتقادهم وتكفيرهم، هل هذا لأن عيسى ينحاز لمذهب الشيعة ويؤمن بما يطرحه الشيعة أو هي محاولة للاستئناس بروايات تاريخية اعتمدها الشيعة أو نجحوا في الترويج لها حتى نقلها

بعض المحسوبين على أهل السنة لكي يضرب الرؤية السنية؟ أيّا كانت حقيقة موقف عيسى فهو مسلك يعكس خبث الرجل ومكره ورغبته في ضرب الفكر الإسلامي برمّته.

وبموضوعية شديدة فإن موقف أهل السنة من الصحابة رضوان الله عليهم أكثر منطقية وعقلانية من هؤلاء وأولئك ذلك أنهم لا يتعاملون مع الصحابة بقدسية لا محدودة كما يفعل بعض المتطرفين أو يحاول أن يروج لهذا بعض العلمانيين الذين في قلوبهم مرض، كما أنهم لا يتعاملون مع الصحابة بهذا الرفض أو الهجوم الحاد عليهم والذي يتبناه الشيعة باعتبار غالب الصحابة منافقين أو كافرين، ومن ثم فإن نظرة أهل السنة إلى خلاف الصحابة على أنه خلاف طبيعي وفتنة يمكن أن يشهدها أي مجتمع خاصة عندما يتعلق الأمر بالسياسة وطريقة إدارة الحكم وهي كلها أمور نسبية وغير مطلقة، وهو في نظري موقف يكشف مدى تناقض العلمانيين إذ وفي الوقت الذي يتخوفون فيه من أن تكون أطروحات الإسلاميين مقدسة وغير قابلة للنقاش وهو الأمر الذي ينفيه وباستمرار الإسلاميون يحاول هؤلاء وبمختلف الطرق أن يجمعوا كل شاردة وواردة حول الخلاف بين المسلمين في التاريخ في إطار خطّتهم المنهجة للتشويه.

## الروايات والحكايات المكذوبة

في اعتقادي أن عبقرية إبراهيم عيسى في رحلة الدم تتمثل في شيء واحد فقط هو قدرته اللامتناهية على أن يوظف كل الروايات المكذوبة التي خلت من أسانيد صحيحة ليشكل في نهاية الأمر تلك الصورة البشعة التي يسعى ويحرص على إثباتها لهؤلاء الصحابة الكرام مستندا في الوصول بها والترويج لها على أمرين:

أولهما: إيهام المتلقي - سواء عبر التنويه على صفحات الرواية أو عبر تلك الحملة الدعائية التي صاحبت إصدارها- أن كل ما أورده من أحداث هي أحداث واقعية نقلها من العديد من المصادر التاريخية.

وثانيهما: الرهان على أن القليل من مطالعي روايته سيبحث وراءه للكشف عن زيف ادعائه وبطلان دعواه واليقين بأن هذه القلة الباحثة عن الحقيقة لن تجد من المنابر القوية التي يمكن عبرها أن يعلنوا عن هذا الزيف ويفضحوا هذه الادعاءات.

وقد تنبه مجمع البحوث الإسلامية إلى هذا الأمر فأصدر تقريرا حول الرواية أكد فيه أن الرواية اعتمدت في أغلب سرد شخصياتها وأحداثها على أخبار موضوعة وكاذبة وضعيفة، بعضها من مصادر شيعية، والتي حللها عيسى من وجهة نظره بهدف تصوير الصحابة الكرام لدى القارئ بصورة تنزع عنهم الاحترام.

وقال المجمع إن الرواية تبنّت ما يسمى بـ «عقيدة نزع القداسة» التي تتبناها التيارات شديدة الانحراف والتي تقتنع بعدم تمييز الإنسان على سائر الكائنات وذلك على خلاف ما نصّت عليه الكتب المقدسة، مضيفا أن الرواية تعمدت بناء صورة مشوهة للصحابة من خلال الإيحاء بأن جميع الشخصيات بالرواية المشار إليها حقيقة وكل أحداثها تستند على وقائع وردت بمراجع تاريخية ذكر منها «فتح العرب لمصر لألفريد بتلر، وسقيفة حبًّى لجورج كدر وأنساب الأشراف للبلاذري الشيعي»، الأمر الذي يشير إلى رغبة المؤلف في التأكيد بأن ما تضمنته الرواية من رؤى وتحليل هو الواقع وليس من خيال الكاتب.

ومن تلك الروايات المكذوبة التي تضمنتها «رحلة الدم» ما نسب للسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تجاه الخليفة عثمان رضي الله عنه: «اقتلوا نعثلا فقد كفر»، وهي مقولة مكذوبة على السيدة عائشة، واستند عيسى فيها على ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي، وهي رواية جاءت من طريق سيف بن عمر، الذي قال عنه يحيى بن معين وابن أبي حاتم: ضعيف الحديث، وقال النسائي

فيه: كذاب وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، قال: وقالوا: إنه كان يضع الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن أبي حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال ابن عدّي: عامّة حديثه منكر[١].

وقد تعمد عيسى إهمال وتجاوز الروايات الصحيحة أن أم المؤمنين كانت تكنّ للخليفة عثمان كل احترام وتقدير لأنها تدرك عظيم منزلته في قلب رسول الله ﷺ ، والذي أخبرها عن عثمان ونقلته هي لنا: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» رواه مسلم.

ومن الروايات المكذوبة التي حشا عيسى بها روايته رواية ضرب الخليفة عثمان بن عفان لعمار بن ياسر وقد ردّ هذه الفرية الكثير من العلماء مؤكدين أن الرواية التي جاءت بشأن ذلك غير صحيحة فسندُها فيه انقطاع وأن المسلمين لا يقبلون إلا ما نقل نقلا صحيحاً فقط[٢].

ومنها القطع بأن عثمان رضي الله عنه لم يصلّ على جنازة عبد الله بن مسعود، وهو أمر لم يثبت، وقد جاءت فيه العديد من الروايات، ومن بينها روايات تحدثت عن أن ابن مسعود أوصى إلى الزبير بن العوام فيقال إنه هو الذي صلى عليه ليلا ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك وقيل بل صلى عليه عثمان، وقيل عمار، فالله أعلم[٣].

ومنها ذكره قصة ضرب عثمان لابن مسعود رضي الله عنهما وهي كذب باتفاق أهل العلم فإنه لما ولي الخلافة أقرّ ابن مسعود على ما كان عليه من الكوفة[٤].

وأما روايته الطويلة عن الصحابي عبد الرحمن بن عديس ومشاركته في الخروج على الخليفة عثمان وقتله فيما بعد فهي أيضا رواية غير ثابتة، رواها فقط ابن لهيعة، وهو شيعي شديد الضعف، وما ذكره الدارقطني من أن عبد الرحمن أحد الذين ساروا إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه من أهل مصر فيحتاج لمعرفة الإسناد الذي اعتمد عليه الدارقطني، فإن كان الواقدي فهو مردود، ثم ليس كل من ركب إلى عثمان كان يريد قتله بل كثير منهم كان يريد عزله فحسب[٥].

وأما حديثه عن قيام محمد بن أبي حذيفة بتزوير رسالة من السيدة عائشة أم المؤمنين وخاتمها فهو أمر مشكوك فيه ولم تثبت صحته.

كما أن القصة التي ذكرها عيسى كثيرا في «رحلة الدم» حول مروان بن الحكم ووصفه بأنه ابن الطريد استنادا إلى رواية أن الرسول ﷺ نفى أباه الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس إلى الطائف لكونه حاكى مشيته عليه الصلاة والسلام فقد طعن فيها كثير من العلماء، وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله هذا وأجاب عن إرجاع عثمان رضي الله عنه مروان إلى المدينة على فرض أن يكون النبي ﷺ نفاه إلى الطائف، فقال في منهاج السنة ما مختصره: الحكم بن أبي العاص كان من مسلمة الفتح، وكانوا ألفي رجل، ومروان ابنه كان صغيراً إذ ذاك، فإنه من أقران ابن الزبير والمسور بن مخرمة، عمره حين الفتح سن التمييز: إما سبع سنين أو أكثر بقليل أو أقل بقليل .. ولم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة في حياة النبي ﷺ. فإنْ كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة. وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه، وقالوا: هو ذهب باختياره[٦].

(١) http://www.saaid.net/Doat/saud/19.htm

(٢) https://antishubohat.wordpress.com/2013/07/11/darb/

(٣) http://www.aqaed.com/book/274/sahwa-05.html

(٤) http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=683&idto=683&bk_no=108&ID٣٨١=

(٥) http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=73985

(٦) http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id١٨٠٤٦٣=

ومنها حديثه عن خطبة محمد ابن أبي بكر لعاتكة وهو خبر غير صحيح فضلا عن افتراء إبراهيم عيسى في إشارته (ص ٥٩٠) بأن هذه الخطبة المعلنة تمت وهي لا زالت في فترة عدّتها من الزبير رضي الله عنه.

وأما ما أورده من تفاصيل عملية مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ودوافعها ومن قام بها فهي مغلوطة إلى حد كبير، فقد ألمح أكثر من مرة إلى أن الدافع الرئيس لمقتله لم يكن سياسيا فأشار إلى دوره رضي الله عنه في توحيد المصحف الشريف وأن ذلك كان سببا لنقمة الكثيرين عليه، فيما ذهب إلى أبعد من ذلك حيث أورد على لسان الكثيرين حكم تكفير عثمان، وهذا مما لم يثبت أبدا.

كما زعم أن دفن عثمان تأخر، فضلا عن دفنه في مقابر اليهود، وأنه لم يشيعه إلا اثنان من الصحابة وزوجته نائلة، وهي أقوال ومزاعم غير صحيحة فقد دفن عثمان بن عفان في حش كوكب البقيع، وهو أول من دفن هناك وليس في مقابر اليهود كما يشيع البعض، قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: (وأما موضع قبره فلا خلاف في أنه دفن بحش كوكب شرقي البقيع) وقال: (ثم كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفة من الخوارج، وقيل بل استؤذن في ذلك بعض رؤسائهم فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة وذكر منهم طلحة والزبير وعلي). وقال أيضاً: (وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجمه، وإلقاءه عن سريره، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع، حتى بعث علي رضي الله عنه إليهم من نهاهم عن ذلك) [1].

هذا غيض من فيض من العديد من القصص والحكايات والروايات المكذوبة التي نسج منها إبراهيم عيسى روايته التي لا تمت أغلبها للحقيقة بأية صلة إذ لم ينشغل عيسى على الإطلاق بالبحث والتقصي حول صحة ما يَستند إليه من روايات وأحداث فقد كان كل همّه هو البحث عن قصص تصنع له نسيجا دراميا يحقق فيها هدفين هما الإثارة والتشويه ليس إلا، ومن ثم فلا مانع من أن يأخذ بكل رواية تساهم في هذا غاضّا الطرف عن كل التحذيرات من الوقوع في فخ ترديد حكايات التاريخ دون تثبت، ومنها ما أشار إليه العلامة ابن خلدون الذي قال: (وكثيرا ما وقع للمؤرِّخين والمفسِّرين وأئمَّة النَّقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرَّد النّقل غثًّا أو سَمِينًا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سَبَرُوهَا بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النَّظر والبصيرة في الأخبار فضلُّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط) [2].

لكن الأسوأ الذي يمكن أن تخلص به بعد الانتهاء من قراءة الرواية وما فيها من أكاذيب هو أن تكتشف أن الظروف التي عاشها عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - تؤكد أنه ورغم تنطعه وقسوته إلا أنه لم يكن إلا شابا باحث عن المثالثات والقدوة الحسنة التي كان يظن أنه سيجدها في صحابة الرسول الكريم ﷺ، لكنه ومن خلال معايشته لهم ومراقبته لسلوكهم أصابته الصدمة، ومن ثم فقد القدوة والنموذج، الأمر الذي يعني أن إبراهيم عيسى ربما يحمّل ضمنيا هؤلاء الصحابة مسئولية قتل عثمان كما سيحملهم وفق ما هو متوقع - إن كتب بقية أجزاء السلسلة- مسئولية قتل علي رضي الله عنه ليكونوا هم القتلة الأوائل!

(١)http://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%8A%D9%86_%D9%82%D8%A8%D8%B1_%D8%B9%D8%AB%D9%85%D8%A7%D9%86_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D9%81%D8%A7%D٨٦%٩

(٢) https://antishubohat.wordpress.com/2013/07/11/darb/

كلما مررت بواحدة من تلك الفقرات الجنسية وما أكثرها في رواية «رحلة الدم» أجدني أحمد الله عز وجل أن الرواية جاءت في أكثر من ٧٠٠ صفحة وأنها مملّة لا تجذب قارئها، إذ كيف يمكن لغثاء مثل هذا الغثاء أن يقرأه ويطلع عليه شبابنا وفتياتنا في ظل أجواء أصبح فيها أصحاب هذا الغثاء هم صفوة المجتمع ونخبة مثقفيه يقولون فيُسمع لهم ويكتبون فيتم الترويج لما يكتبونه وكأنه زبدة الفكر البشري وعصارته فيما تتلقفه الصحف والفضائيات مادة يتكلم فيها الجميع حتى يصبح هذا الغثاء هو ما ليس قبله وما ليس بعده!

وقد أقحم الكاتب أغلب المشاهد الجنسية في أحداث الرواية بشكل قبيح وفج ما كشف عن مجرد رغبة محمومة لديه في تحقيق الإثارة لدى المتلقي فضلا عن تجاوز حدود الأدب واللياقة خلال الحديث عن صحابة النبي ﷺ، وهو بالطبع لا يهدف من وراء ذلك إلا كسر الحدود التي يجب التزامها خلال الحديث عن صحابة الرسول الكريم تحت ادعاء أنه لا قداسة لأي شخص، فالجميع بشر غير مفرّقٍ بين مفهوم القداسة الذي يزعمه ويدعيه وبين التأدب في ذكر الصحابة رضوان الله عليهم.

ونماذج المشاهد الجنسية في الرواية أكثر من أن يمكننا حصرها في مقال أو دراسة فالرواية كما أشرنا طويلة للغاية فضلا عن أنه من المخجل أن ننقل مثل هذه المشاهد التي لا أعرف كيف تجرأ الكاتب على أن يضمنها رواية تتخذ من صحابة الرسول الكريم شخصيات وأبطالا لها.. لكن وعلي أية حال إننا وفي إطار التدليل على ما ذهبنا له مضطرين إلى الإشارة إلى بعض هذه النماذج والتي حاولتُ جاهدا أن أنتقي أقلّها فحشا ومنها:

في صفحة ١٣٤ الفقرة الثالثة، يقول على لسان الصحابي عبد الرحمن بن عديس في حديث له لعمرو بن العاص: «وإن هؤلاء الجند معك منذ عام في حرب طالت وقد تركوا زوجاتهم ونساءهم وخاضوا غمار المعارك وغبار الصحراء محرومين من أثداء النساء وأفخاذهن كاتمين شهواتهم التي أحلّها الله ثم نكتشف أن الجيش حظي بسبايا من روميات وبضات نمن على صدوركم يا رجل وربتم على مؤخراتهن وتأتونهن أنّى شئتم».

وفي نفس الصفحة وفي الفقرة التالية يعقب الكاتب متحدثا عن عمرو بن العاص قائلا: «كان ابن العاص يعرف سر مجيئهم لكنه لم يكن يفهم هذا الإلحاح في قضية انتهت حتى إن السبايا تجمعن منذ ساعات خلف باب هذا الرواق وقد ارتدين ثيابهن واستعددن للعودة إلى أهلهن لكن ابن العاص لم يكن يعرف كذلك أن ابن عديس وكنانة قد رأيا جمع النساء قبل المجيء للغرفة واطلعا على السر الذي صدم كلا منهما بخبط بين فخذيه فسخنت العروق وغلت الأعصاب من بياض البشرة ...».

وفي صفحة ١٤٠ يقول: «ومصر تفتح ذراعيها للعرب المنتصرين لكي يجيئوا بنسوتهم فلا خطر محدقا ولا خوف لاحقا والاستقرار في هذه الأرض يتطلب أفخاذا بأفخاذ وبطونا فوق بطون..».

ومن ذلك ما ورد في صفحة ٢٢١ خلال الحديث عن شخصية عبيد بن الليثي إذ قال عن زوجته واسمها حبى: «صحيح أن عبيد بن الليثي زوجها ومعشوقها وقرة عينها وأير حياتها».

ومن ذلك ما جاء في صفحة ٢٢٢: «لا تهتم حبى بكلام عبيد كثيرا ولا تظن أن كلامه يهمها حتى قليلا، هي تتعشق عرقه وعظمه، تذوب حين تلمس لحيته صدرها وتصعد حتى وجهها أو تهبط فيهزها شعره الخشن الأسود حين ينغرس في بطنها...».

ومنه أيضا في نفس الصفحة: «إني أوصيك بوصية إن قبلتها سعدت ونعمت بذلك انظري إن هو مد يده إليك فانخري وأظهري له استرخاء وفتورا فإن قبض على شيء من بدنك أو جارحة من جوارحك فارفعي صوتك بالنخير مدا وتنفسي الصعداء ... فإن أولج عليك فأكثري اللفظ وغربي وأظهري غنجا وحركة وعاطيه من تحته ...».

ويقـول عـن الخليفـة عثمـان رضـي الله عنـه في صـفحة ٢٢٦: «لكـن حـين وصـل الخـبر إلى عثمـان بـن عفـان وهـو في مدينته علـى سـرير خلافتـه بـين نـساء لا يحـركن القلـب ولا يمـتعن الـروح المـدودة مـن تعـب المسؤولية ونـصب المهمـة وتطلـع عجـوز مثقـل بهمـوم أمـة إلى ما يبعث البهجة والابتهاج».

ومـن ذلـك أيـضا مـا جـاء في صـفحة ٢٢٧ علـى لـسان نائلـة زوجـة الخليفـة عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه وهـي عبـارات لا تحمـل أي أدب حـول الخليفـة ولا زوجتـه حيـث يقـول علـى لـسان نائلـة الـتي تحكـي لحبـى عـن الليلـة الأولى مـع الخليفـة: «ودخـل الخليفـة إلى سـريره فجلـس وكنـتُ هنـاك في ركـن علـى أريكـة لا زلـت أجمـع شـتات روحـي وأنفـض عـني قـديم حيـاتي فقـال لـي: هـل آتـي لـك أم تـأتين لـي؟ قمـت لحظتهـا بـين الـدلال والإقبـال وجلـست عنـد حافـة فراشـه فلامـست أنفاسـه بأنفاسـي وقلـت لـه: لـيس مثلـك مـن يـذهب لمثلـي بـل لم آت إلا إليـك ولقـد تركـت بـلادي حـين دعـوتني لـك فأتيتـك إلى أرضـك وإلى بلـدك وإلى سـريرك»، ثـم تـضيف: «وقـع شـغفي في قلبـه فكـأنما سـقيت ظمـأ جـفّ معـه جـوف حياتـه فمـدّ يـده علـى عمامتـه يخلعهـا فبانـت صلعته كـبيرة وعارية ومفاجئـة فـأحس أنهـا خبـت روحـي فقـال لـي: لا تفزعنـك صـلعتي أيتهـا الحـسناء فقمـت وأخـذت رأسـه في نحري وقبلتها».

ومنهـا مـا ورد في صـفحة ٢٥٠: «فتجثـو علـى ركبتيهـا وتأخـذه بـين ذراعيهـا وتـدس رأسـه بـين نهديها وتربت على ظهره .. ».

ومـن ذلـك مـا ورد في صـفحة ٢٧٠: «كـان لا بـد وأن تحـس نـصرها فـوق جـسده، لم تـسمح لـه أن يفوتهـا فيـسحب روحهـا مـن بـين فخـذيها هـذا الـشاب المليح طريحـة عـشقه جريحـة أيـره مـدت يـدها فتلقـت صـدره بقبـضة مدهونـة بزيـت وحنـاء ردهـا عنـه بـضرب ذراعـه لكنهـا تماسـكت وأحكمـت قبـضتها تعـصره فـأهوى بهـا علـى الفـراش فكـان لهـا مـا خططـت، جردتـه مـن ثيابـه واسـتحكمت فوقـه»، والحقيقـة أن الروايـة مليئـة بمثـل هـذه المـشاهد ولعـل الأقـبح في هـذا الـسياق هـو مـا أورده في صـفحة ٦٦٤ حيـث الفحـش في القـول بعـد دقـائق مـن وصـفه لمقتـل الخليفـة عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه فقـال: «نظـر سـودان - أحـد قتلـة الخليفـة - إلى امـرأة عثمـان الراقـدة عليـه فاتـسعت عينـاه محملقـتين في جـسد نائلـة وقـد تحـشرج صـوته متـبللا بالـشهوة تكتـسح ذكورتـه .. مـا أجمـل مؤخرتـك يـا امـرأة .. بحـد الـسيف دمـا جـذب عبـاءة نائلـة عـن مؤخرتهـا فـإذا بنجـيح - أحـد رجـال الخليفـة - المترنـح مـن أثـر الـضرب والطعـن يـستند علـى ركبتـه ويزحـف بـسيفه تحـت سـاقي سـودان ثـم يطعن النصل أسفل بطنه... ».

## إشارات خطيرة

ويـا ليـت كـل مـا سـبق أشـبع نهـم إبـراهيم عيـسى وأرضـى رغبتـه في التشويه والإثـارة بـل إنـه حـرص كـل الحـرص علـى أن يـضمّن نـص الروايـة العـشرات بـل المئـات مـن الإشـارات والتلميحـات الـتي حملـت مـضامين فكريـة خطـيرة تتـشابه إلى حـد كـبير مـع مـا ذهـب إليـه العديـد مـن المستـشرقين الـذين أثـاروا الـشبهات حـول الإسـلام ورجالـه، وهـو أمـر يحتـاج إلى تفصيل آخر.

ومـن بـين هـذه الإشـارات مـا هـو سياسـي ومنهـا مـا تعلـق بـالفكر الـديني أو مـا تعلـق بطبيعـة وتكـوين شخـصيات صـحابة الرسـول ﷺ وكـرر بعـضها في عدة مواضع ومن أمثلة ذلك بشكل موجز:

❖توصيف الفـتح العربـي الإسـلامي لمـصر علـى أنـه احـتلال، مثلـه مثـل أي احـتلال أجـنبي وكـذلك الحـديث عـن الظلـم الـذي وقـع مـن المـسلمين علـى أقباط مصر (ص ٣٩٢).

❖الإشـارة في عـدة مواضـع إلى أن المـصريين كانوا أكثر رقيا وتمدنا من العرب الأجلاف.

❖الحـديث عـن عمـرو بـن العـاص وكأنـه جاهـل بفقه الحرب وشروط السبي (ص ١٣٠).

❖التـشكيك في نـسب عمـرو بـن العـاص وأن بعـض الـصحابة يـصفونه بـابن النابغـة في إشـارة لأمّـه (ص ١٣٥).

❖التشكيك في نسب عقبة بن نافع أيضا (ص ١٣٦).

❖تصوير صالح القبطي المصري باعتباره الأفضل (ص ١٣٦).

❖قيم الطبقية كانت تسود نظرة الأمراء في التعامل مع الجند (ص ١٤٠ – ١٦٣- ١٩٨).

❖تحقير شأن الصحابة وإظهارهم كأنهم عنصريون (ص ١٤٨- ٢٨٥ - ٣٣٥ - ٣٤٢- ٤٣٥).

❖إظهار الصحابة وكأنهم يستخفّون بتوجيهات وتعليمات القادة والأمراء (ص١٥٩).

❖إظهار بعض الصحابة في حالة استعلاء (ص ١٩٩- ٢٠٠).

❖الإصرار على تسمية المدينة المنورة باسمها قبل الإسلام «يثرب» (ص ٣٥٤).

❖تجاهل الصلاة على النبي الكريم محمد ﷺ في مواضع كثيرة (ص ٢٣٨).

❖إشارات متكررة أن الصحابة كانوا يميلون إلى الراحة والترف والدعة (ص ١٩٤- ٢٨٢).

❖إظهار الصحابة غير ملتزمين بأدب الحوار، وسباب بعضهم لبعض (ص٣٣٦- ٣٨٣- ٥١٢).

❖تلميحات بعدم صدق إسلام عبد الله بن أبي سرح (ص ٣٣٩).

❖الجهاد كان لدوافع سياسية بحته وليس للدفاع عن الإسلام أو الدعوة إليه (ص ٣٩٤- ٤١٢).

❖إظهار الصحابة منشغلين دائما بالغنائم (ص ٤٢٠- ٥٦٨).

❖إطلاق أحكام التكفير بين الصحابة بلا أية قيود (ص ٤٢٩ - ٥٢١ - ٥٨٠– ٦٠٦ – ٦٢٤).

❖اتهام بعض الصحابة بالكذب (ص ٤٥٠).

❖صراع الصحابة على الإمامة في المسجد (ص ٤٨٢).

❖عدم التأدب في مخاطبة زوجة الخليفة (ص ٥٤٤).

❖مشاهد تمثيلية غير مقبولة لطريقة حوار الصحابة فيما بينهم (ص ٥٨٥- ٥٨٨).

❖إظهار الصحابة وكأنهم لا يتوقفون عن التفكير في النساء (ص ٦٠٤).

❖تكرار مزاعم التمثيل بالجثث (ص ٦٦٥– ٦٧١– ٦٩٢).

### خاتمة

لا يمكن لقارئ الرواية التي حشدت كل هذا الكم الهائل من الروايات والأحداث التاريخية بهذه الطريقة وعلى هذا الشاكلة إلا أن يصاب في داخله بحالة من «القرف والتقزز» من هذه العصبة أو العصابة التي يفترض بها أن تكون خير ممثل عن القيم الإسلامية غير أن الأخطر أن تنعكس هذه الحالة بشكل سريع على البعض فيصاب بحالة أخرى من الاستخفاف بهذه القيم والتشكك في مدى صحتها أو قدسيتها أو حتى عدم جدواها وصلاحيتها، وهو ما يمكن أن يترجم سريعا لدى هؤلاء بشكل سلبي في طريقة تعاملاتهم ونظرتهم العامة إلى المجتمع ومفهوم الحلال والحرام وبالتالي المشاركة بشكل أو بآخر في انهيار المنظومة القيمية على مختلف المستويات، ذلك أن كل متلقٍّ يظن في نفسه أنه أفضل في سلوكه بمراحل من هذه النماذج الفجة.

كما أن تقديم هذه الأحداث على هذه الشاكلة وبهذا السرد المبتور والمبتسر هو في نظري أهم وأخطر رسالة أراد الكاتب أن يبعث بها، ذلك أنه أراد أن يسوغ ويقدم المبررات لكل حاكم ظالم أو مستبد بل لكل ناشط سياسي غير سوي إذ لو كان هذا هو واقع الصحابة رضوان الله عليهم وفق ما جاء في الرواية فإن كل سلوك يصدر من آخرين يصبح مستباحا في العمل السياسي.

بالتأكيد لسنا ضد الإبداع أو أن يترك الكاتب لخياله أن يسرح كيفما يشاء ينسج القصص والحكايات ويصف الشخصيات لكن أن يطال هذا الخيال شخصيات تاريخية حقيقية بل ومن كبار الصحابة رضوان الله عليهم ممن عاشوا

سنوات الإسلام الأولى فإن هذا بلا شك يحتاج إلى وقفة وتأمل بل إبداء ملاحظات ورفض ورد ، ذلك أن السكوت على مثله يساهم بكل تأكيد في تشكيل رؤى وأفكار سلبية عن جيل الصحابة لدى المتلقي.

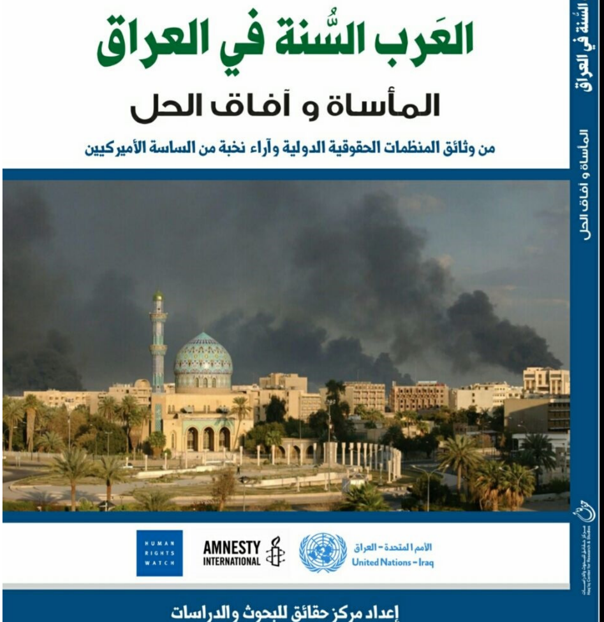
هذا يدفعنا إلى أن نطرح تساؤلا نراه في غاية الأهمية يتعلق بحقيقة موضوعية موقف هؤلاء من السنة النبوية وأحاديث الرسول الكريم ﷺ إذ تراهم في مواضع كثيرة يرفضون أحادث وردت في كتب الصحاح كالبخاري ومسلم ويعتبرونها من الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ أو الموضوعة على الرغم من أن من البخاري ومسلم اتّبعا منهجا دقيقا لأقصى درجة في جمع روايات ما جاء في كتابيهما ، بينما يحاول هؤلاء في تناقض مكشوف أن يشكلوا وعي وثقافة وآراء الجماهير المتلقية لما يكتبون من خلال حكايات وروايات تاريخية ثبت أن أغلبها مكذوب لا علاقة له بالحقيقة وأن كتابها ورواتها لم يخضعوها لتلك المعايير الدقيقة التي اتبعها كل من البخاري ومسلم؟ مما يكشف عن النوايا الخبيثة لدى هذا الفريق.

ولا يفوتنا في هذا الإطار أن نبطل شبهة يكثر ترددها وهي أن أهمية رواية إبراهيم عيسى تتمثل في أنها تطرقت إلى بعض المسكوت عنه في التاريخ الإسلامي وأن عبقريته في أن يخرج لنا أحداث هذه الفتنة.. والحقيقة أنني لا أعرف على أي أساس يستند هؤلاء في طرح رؤاهم؟ .. هم ربما يحاولون أن يستخدموا بعض العبارات والأكليشيهات المنمقة ليس إلا لإبهار المتلقي وإثارته فيكتب الكاتبون «رحلة الدم .. رواية تتحدث عن المسكوت عنه» وكأن إبراهيم عيسى قام بسبق صحفي فكشف عمّا لم تصل إليه يد أحد من قبله ونسي هؤلاء أو تناسوا أن كتب التاريخ مليئة بكل الأحداث وأن الأمر في متناول كل من يرغب في الوصول إليه غير أن البعض يؤثر أن يثير قضايا مثيرة لكنها تفتقد إلى الأدلة المسندة والثابتة فضلا عن أن إعادة ذكرها لا يعود بالفائدة الحقيقية على أمة تعاني حالة من التشتت والخلاف والتشرذم وأن الأوْلى بأهل الوعي فيها أن يدفعوا بها إلى التوحد والصمود والمقاومة غير أن ما يقوم به عيسى وأمثاله ليس إلا إضعافا لها من جهة ، وبحثا عن الشهرة ولو كان ذلك على حساب واقع الأمة وإثارة فتنها من جديد.

# العرب السنة في العراق المأساة وآفاق الحل

عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

صدرت هذه الدراسة مؤخرا عن مركز **حقائق للبحوث والدراسات في ١٧٥ صفحة من القطع المتوسط**، وهي تتناول لبّ الأزمة العراقية منذ سقوط نظام صدام حسين سنة ٢٠٠٣م، وهي أزمة اضطهاد وإقصاء السنة العرب في العراق من قبل الحكومة الشيعية الطائفية، وتركز الدراسة على الفترة بين ٢٠١٤- ٢٠١٦.




**وترتكز الدراسة في بيان مدى بشاعة الظلم والاضطهاد الواقع على العراقيين العرب السنة** ومدى ضخامة الجرائم الطائفية التي تعرضوا لها على وثائق المنظمات الحقوقية الدولية وآراء نخبة من الساسة الأمريكيين، وذلك باعتبارهم محايدين ليست لهم مصالح طائفية كما تردد الماكنة الإعلامية الشيعية العراقية والإيرانية ضد كل محاولة عراقية سنية لفضح الجرائم الإرهابية المرتكبة ضدهم.

**في التمهيد للدراسة تم لفت النظر لبعض الحقائق حول مأساة العرب السنة في العراق**، من خلال كشف التناقض السائد في كثير من المقالات والتحليلات بخصوص العراق، والتي تؤكد على البعد الطائفي السني لحكم حزب البعث برغم أن حزب البعث هو حزب علماني يحوي من الشيعة في عضويته ما يقارب السنة أو يفوقهم، بينما يتم رفض وصم الحكم الشيعي للعراق من قبل أحزاب شيعية دينية بالطائفية برغم كل تصرفاتها الطائفية التي وصلت لحد أداء قسم الانضمام للجيش بصيغة شيعية طائفية وعند مقام شيعي!

(*) كاتب أردني.

**كما نبه التمهيد على إغفال كثير من وسائل الإعلام لجرائم داعش بحق العرب السنة والتركيز فقط على جرائمها بحق الشيعة والمسيحيين واليزيديين**، حيث جرائم داعش بحق السنة أكثر وأوسع ضررا، فداعش لا تقتل السني على هويته كما تفعل المليشيات الشيعية إلاّ أنها تقتل السنة على مخالفتهم لآرائها وأوامرها من جهة وهذا هو سبب جرائمها بحق العلماء والخطباء والقادة وفصائل المقاومة السنية، ومن جهة أخرى فإن داعش تجبر السنة على خوض معاركها الفاشلة مع كافة القوى ثم تنسحب من مناطقهم بعد تجريدهم من سلاحهم وقادتهم وتتركهم لقمة سائغة للمليشيات الشيعية الطائفية والإرهابية.

**وأيضا لقد تم بناء العراق الجديد على أسس طائفية مقصودة بتسليم الحكم للشيعة من قبل أمريكا**، وقد أفرز ذلك سياسات طائفية دائمة ترتكز على قمع المكوّن السني بحجة محاربة التطرف والإرهاب المتمثل في داعش، لكن الحكومة الطائفية تحارب داعش وتحارب المكون السني بأكمله باعتباره حاضنا وداعما ومؤيدا لداعش، وفي نفس الوقت تتغاضى عن كل الجرائم بحق السنة من قبل أجهزتها ومليشياتها مما يجبر بعض السنة على القبول بداعش، وبذلك تتواصل مأساة السنة بين ظلم وإجرام داعش، وظلم وإجرام الحكومة التي تدفعهم لحضن داعش، ثم تتخلى عنهم داعش ليواجهوا إجرام المليشيات الطائفية! والغرب يقف متفرجا على هذه المأساة لأن من يزعم محاربة داعش هو من يقتل السنة وهم المليشيات الشيعية، وفي النهاية فالخاسر الوحيد والضحية لكل ذلك هم الأبرياء من العرب السنة!

**في القسم الأول من هذه الدراسة** تم استعراض أبرز معالم المأساة السنية في الفترة من ٢٠١٤- ٢٠١٦ كما يلي:

١- **تدمير المناطق السنية**: فقد تم توظيف محاربة داعش سنة ٢٠١٤ لتدمير مناطق السنة، حيث أكدت تقارير منظمة العفو الدولية أن القوات الحكومية وميليشيا الحشد الشيعي ارتكبت جرائم حرب.

ففي مدن محافظة صلاح الدين وثقت منظمة هيومن رايتس ووتش إحراق وتفجير ١٤٢٥ من المنازل في تكريت وما حولها دون حاجة عسكرية لذلك! وفي ناحية آمرلي تقول هيومن رايتس ووتش إن تدمير المباني في ٤٧ قرية ذات أغلبية سنية كان منهجيا ومدفوعا لتغيير التركيبة السكانية السنية، حيث نهبت ودمرت المنازل والمحال والمساجد والمباني العامة، وأن ما يزيد عن ٣٨٠٠ مبنى قد تم تدميره نتيجة لذلك.

وفي محافظة ديالى تم هدم عدد من المساجد ونهب المنازل وتدميرها بحسب تقارير بعثة الأمم المتحدة. كما رصدت البعثة تدمير قرية شمسية العربية في محافظة كركوك من القوات الحكومية، أما مدينة الرمادي فقد عبر مراسل وكالة رويتر عن حالها بأنها أصبحت مدينة أشباح شبه مدمرة، فقد دمرت المباني وهجّر أهلها! أما منسقة عمليات الأمم المتحدة في العراق فقد اعتبرت الرمادي أسوأ مكان في العراق تعرض للتدمير، وفي تحليل بعثة الأمم المتحدة هدم ٦٤ جسرا ومعظم شبكة الكهرباء، وبحسب صور الأقمار الصناعية فهناك ٢٠٠٠ منزل مدمّر تماما و٥٧٠٠ مبنى متضرر.

وفي الفلوجة تم استخدام القنابل البرميلية كما هو الحال في سوريا، وقد تسبب ذلك بالكثير من التدمير والقتلى، كما تم توثيق استهداف مستشفى الفلوجة أكثر من ١٦ مرة في تقرير هيومن رايتس ووتش.

٢- **الإعدامات الجماعية**: حيث ارتكبت الميلشيات الشيعية العديد من المجازر بحق العرب السنة بين عامي ٢٠١٤- ٢٠١٥، وقد وثقت المنظمات الحقوقية الدولية عددا من هذه المجازر على النحو التالي:

مجـزرة سـوق مويلحـة في الحلّـة، حيـث قتـل ٥٣ شخـصا، كانـت أيـديهم مقيـدة ومـصابين بطلـق في الرأس.

مجـزرة قريـة الكراغـول بمحافظـة صـلاح الـدين، حيث قتل ١٤ شخصا واختطف ٣٣ آخرون.

مجـزرة قريـة بروانـة بمحافظـة ديـالى، حيـث قتـل بين ٥٦- ٧٠ شخصا.

مجـزرة جـامع مـصعب بـن عمـير بمحافظـة ديـالى، حيـث قتـل ٣٤ شخـصا وهـم يـؤدون صـلاة الجمعـة في المسجد.

مجـزرة في بعقوبـة بمحافظـة ديـالى، حيـث خطـف وأعدم ١٥ شخصا، وعلّقوا على أعمدة الكهرباء.

كمـا أن الحكومـة ومليـشياتها قامـت بإعـدامات جماعيـة كـثيرة لـسجناء سـنة عـرب بـدون حـق، بحسب تقارير هيومن رايتس ووتش.

٣- تعــذيب المعــتقلين: إن تعــذيب الــسجناء العــرب الـسنة هـو نهـج ثابـت للحكومـات الـشيعية ومليـشياتها بهـدف طـرد الـسنة وتهجيرهـم لخـارج العــراق، وقـد فـضحت عـدة تقـارير دوليـة تلـك الممارسـات كالـضرب وسـوء الخـدمات والتكـدس والاعتـداءات الجنـسية، خاصـة علـى النـساء، حيـث هنـاك مـا يزيـد عـن ٥٠٠٠ سـجينة سـنيّة، وعـدم تـوفر محـامين في المحاكمـات، وغيـاب العدالـة في القـضاء وتفشي الرشوة.

٤- الـتهجير: ترصـد الدراسـة أن الـتهجير كـان محـدودا في عـام ٢٠٠٣، ثـم تـصاعد مـع حكومـة الجعفـري في ٢٠٠٥ وبـرزت آنـذاك فـرق المـوت، وبعـد تفجـير سـامراء عـام ٢٠٠٦ تـولى جـيش المهـدي التـابع لمقتـدى الـصدر تهجـير سـنة بغـداد والبـصرة وديـالى، في الفـترة ٢٠٠٩- ٢٠١٣، فهـاجر كـثير مـن العـرب الــسنة إلى إقلــيم كردســتان بــسبب الــضغوط الحكوميـة علـيهم بـتهم الإرهـاب، ومـع سـيطرة داعـش علـى الفلوجـة عـام ٢٠١٤ بـدأت موجـة هجـرة سنية جديدة من كل منطقة تسيطر عليها داعش.

وعنــد كــل مواجهــة مــع داعــش تحــدث هجــرة للـسنة عـن منـاطقهم، وبعـد رحيـل داعـش أيـضا يتعـرض مـن تبقـى مـن الـسنة للـتهجير مـن قبـل الميليـشيات الـشيعية الـتي تتعمـد التـدمير والنهـب والخطـف والقتـل، فبحـسب دراسـة المنظمـة الدوليـة للـهجرة تم تهجـير ٣,٢ مليـون سـني مـن محافظـات الموصـل والأنبـار وصـلاح الـدين بـين ٢٠١٤/١- ٢٠١٥/٩.

٥- التغـيير الـديمغرافي: لم تكتـف المليـشيات الـشيعية بتـدمير البلـدات الـسنية وتهجـير أهلـها بالقـصف الأعمـى، بـل تمـنعهم أيـضا مـن العـودة لمنـازلهم بعـد رحيـل داعـش عـن منـاطقهم بحجـة أنهـم مؤيـدون لـداعش، ووثقـت تقـارير المنظمـات الدوليـة ذلك في ديالى وصلاح الدين وحزام بغداد.

٦- اضـطهاد سـنة بغـداد: حيـث وثقـت تقـارير لهيـومن رايـتس ووتـش مـا يتعـرض لـه الـسنة في بغداد مـن مداهمـة واعتقـال تعـسفي وإهانـات علـى الحـواجز وخطـف، ممـا اضـطر بعـض الـسنة لتغـيير أسمـائهم لأسماء مقبولة عند الشيعة وتغيير أماكن سكنهم.

وفي القـسم الثـاني تناولـت الدراسـة آراء بعـض الـساسة الأمـريكيين حـول سـبب هـذه المأسـاة وأنهـا نتيجـة خطـئهم بـدعم الـشيعة علـى الـسنة عمومـا، وتأييـد المـالكي خـصوصا في سياسـاته الطائفيـة، بحجـة محاربـة الإرهـاب، ورأوا أن المليـشيات الـشيعية أصبحت الخطـر الأكـبر في المنطقـة، وأن الحـل لهـذه المعـضلة هـو بـدعم المكـون الـسني ضـد التطـرف الــشيعي والتطــرف الداعــشي، ليكــون مــستقلا وقـادرا علـى حمايـة نفـسه ممـا يوقـف الأطمـاع الإيرانية.

في النهايـة: إن مأسـاة سـنة العـراق ممكـن أن تتكـرر في عـدد مـن التجمعـات الـسنية في دول أخـرى طالمـا أنهـا تفتقـد لقيـادة واعيـة للأخطـار الإيرانيـة والأخطــار المتطرفــة الداعــشية، وواعيــة لخلــل الـسياسات الغربيـة والأمريكيـة، إن أهـل الـسنة مـستهدفون في وجـودهم وقـوتهم ووحـدتهم، وعلـيهم التعـاون فيمـا بيـنهم ودفـع الأخطـار والأطمـاع عـنهم بحكمة وقوة.

## بين الحقيقة والكذب

**قالوا:** إيران تقيم مؤتمرا دوليا عن فلسطين وتدّعي مناصرة الفلسطينيين، والحقيقة أنها وحلفاءها قتلوا من فلسطينيي سوريا ٣٤٤٣ واعتقلوا ١١٦٤، وهجّروا ١٤٢٠٠٠.

وليد الطبطبائي- تغريدة بتويتر

## كالعادة

**قالوا:** لم نسمع ردا من قبل حزب الله على قصف إسرائيل مراكز تابعة له وللحرس الثوري الإيراني، نديم قطيش قال: «نصر الله يخطب وإسرائيل تضرب»، برافو نديم.

Fares Souaid تغريدة بتويتر

## هل نتدارك ما فات تجاه المليشيات الشيعية؟

**قالوا:** في ١٥ أغسطس ٢٠١٤ صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢١٧٠ تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وخصص القرار صفة «المقاتل الأجنبي» في سوريا لأولئك الذين انضموا من الخارج إلى ثلاثة أطراف فقط هي: تنظيم الدولة «داعش»، وجبهة النصرة، وتنظيم القاعدة، بالإضافة إلى أي جماعة ترتبط بشكل مطلق بتنظيم القاعدة... وبسبب ضعف الدبلوماسية العربية وغياب الرؤية الاستراتيجية أصبح الإرهاب مرتبطا حصرا بالجماعات المدرجة في القرار، وأصبح المجتمع الدولي يركز فقط على محاربة هذه الجماعات...

الجميع مشغول الآن بداعش والقاعدة، لكن ما أن ينتهوا من الأمر حتى يكون الأوان قد فات على مواجهة هذه الميليشيات الشيعية التي تشكل خطرا راسخا ومقيما. هناك حاجة لتحجيم هذا المسخ عبر نزع الشرعية عن دوره، وعبر الضغط عليه ومحاصرته واستهدافه، ولا يمكن تحقيق ذلك بشكل فعال من دون قرارات دولية. الظروف لطرح مثل هذا الأمر مناسبة الآن لكن على اللاعبين المعنيين مسؤولية إعداد الأجندة إلى الواجهة والحرص على إثارتها دوما والدفع باتجاه تنفيذها.

د. على باكير- صحيفة العرب ٢٠١٧/٢/١٤

## من بشائر الخير

**قالوا:** ٣٢٠ أوروبياً يدخلون في الإسلام يومياً.

رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا لبرنامج بلا حدود

## بركات القاعدة والنصرة والفتح!

**قالوا:** إذا أردت أن تكونَ بأمان ولا تتعرض للقصف في أحياء برزة والقابون ما عليك إلا الجلوس بالقرب من مقراتِ الغلاة، خوارج هتش.

إعلامي مُقاتل - تغريدة بتويتر

## حقد رهيب!

**قالوا:** الشرطة الصينية في عاصمة مقاطعة شنغيانغ الغربية التي يقطنها الإيغور المسلمون حددت مكافأة قدرها ألفي يوان (٢٧٥ يورو) لمن يبلّغ عن شاب ملتح أو امرأة منقبة في إقليم شينجيانغ الواقع بشمال غرب البلاد.

الجزيرة نت – ٢٠١٧/٢/٢٣

## حوّلوه لشعب مجرم!

**قالوا:** وزير الداخلية الإيراني: أكثر من ١٠ ملايين إيراني يعملون في تجارة المخدرات!!

قناة صفا الفضائية - تغريدة بتويتر

## أن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي أبداً!

**قالوا:** إيران تسببت في إذكاء الطائفية، وأخذت تنشر التشيع المنحرف وتمارس الطائفية بأسلوب خبيث في كل المنطقة، فهي أساس الشر في العراق، ولولا دعمها الخبيث لسقط نظام الطاغية بشار، وهي وراء الانقلاب الخبيث في اليمن، وهي وراء إذكاء الطائفية في الخليج، وغير ذلك الكثير، قد آن الأوان لقطع يد إيران الخبيثة في المنطقة قبل أن تتسبب في تدمير الأمة.

د. طارق سويدان،
صفحته بالفيس بوك ٢٠١٧/٢/١٣

## القاديانية تتغلغل في بلادنا

**قالوا:** سيدي رئيس الجمهورية المحترم عبد العزيز بوتفليقة، نحن أبناء الجزائر ننتمي إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية التي أسسها على حسب معتقدنا وقناعتنا ميرزا غلام أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود الذي بشّر به سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي أسسها في سنة ١٨٨٩ بأمر من الله تعالى، وتنتشر اليوم جماعتنا في أكثر من ٢٠٠ دولة في العالم.

والجماعة الإسلامية الأحمدية هي جماعة دينية علمية، هدفها تجديد الدين، وليست جماعة سياسية، بل هي مشهورة في العالم أجمع بنشر السلام، واليوم بفضل الله هي تحت قيادة الخليفة الخامس ميرزا مسرور أحمد، رجل السلام العالمي الذي يشارك في المحافل الدولية بخطاباته الداعية إلى الإسلام ونبذ كل أشكال العنف والإرهاب...

وإننا سيدي الرئيس نتعرض لحملة شرسة من طرف الإعلام وبعض المسؤولين في الدولة، الذين ينعتوننا بالكفار والخارجين عن ملة الإسلام والعياذ بالله، وإننا بصفتك رئيس الدولة والحامي الأول لحرية أبنائها في اختيار توجهاتهم الفكرية، سيدي نطلب منك التدخل لوقف هذا التهجم غير المبرر من طرف هيئات من الدولة، ونعلمكم أنه يوجد أكثر من ١٧ فردا في السجون بسبب اختيارهم للانتساب للجماعة الإسلامية الأحمدية، وهناك من تجاوز عمره ٧٠ سنة، وهو لا زال يقبع في السجن إلى يومنا هذا.

كما نطلب سيدي اعتماد جمعيتنا التي قدمنا ملفها للجهات المعنية، وقد قوبلت بالرفض دون مبرر من وزارة الداخلية، واليوم نعمل كل ما في وسعنا لإيصال صوتنا لسيادتكم، نرجو منكم أخذ طلبنا بعين الاعتبار والتفهم. وفي الأخير سيدي تقبل منا فائق التقدير والاحترام.

**ممثل الجماعة في الجزائر محمد فالي،**
**موقع الحوار ٢٠١٧/٢/٩**

**قالوا:** أعلنت الشرطة الجزائرية أنها اعتقلت الزعيم الوطني للطائفة الأحمدية في البلاد و١١ من أتباعه، كانوا ينشطون على مستوى ولاية الشلف غربي البلاد.
وأمرت محكمة الشلف بإيداع خمسة منهم الحبس المؤقت ووضع أربعة تحت الرقابة القضائية، في حين تم إخلاء سبيل البقية.

**هسبريس – ٢٠١٧/٢/٢٢**

## بعض ما يجب أن نقوم به

**قالوا:** انتشر وطغى في الأدبيات الدبلوماسية خلال سنين ماضية مسمى (القوة الناعمة)، ثم ضمر ليحل بدلا عنه ما كان أحد فروعه يومًا ما، وهي (الدبلوماسية الثقافية).

... لكن السؤال الذي بدأ يحضر أخيرا، هو: هل ما زال للقوة الناعمة أو الدبلوماسية الثقافية مكان في هذا العالم، بعد موجة تنامي اليمين المتطرف، الذي لا يؤمن كما يظهر من خطاباته وقراراته، إلا بدبلوماسية (القوة الخشنة)؟!

... هل هذه دعوة للتخلي عن الدبلوماسية الناعمة بكامل أطرها وأدبياتها؟!

لا، لكنها دعوة لإعادة النظر في الجرعة التي تحتاجها الدبلوماسية المعاصرة من النعومة، وما ينبغي خلطه معها من الخشونة اللازمة والملحّة للأسف!

من جانب آخر، فإن الأثر الذي تصنعه منافذ الدبلوماسية الشعبية بات يفوق، وفي شكل كبير أحيانا، أثر الدبلوماسية الرسمية، ولذا تكاثرت في معظم دول العالم مؤسسات المجتمع المدني التي تعنى جهودها الدبلوماسية بتغطية هذا الفراغ الثقافي بين المجتمعات، وتجسير الفجوة الناتجة عن سوء فهم يؤول إلى سوء تفاهم بين المجتمعات، ثم بالتالي بين الدول.

في فرنسا، وفي منظمة اليونسكو كانت تردنا منشورات أو بيانات أو دعوات لحفلات موسيقية أو لمعارض عن الفن الفارسي العريق، ولا تكاد تجد اسم أو رائحة الحكومة الإيرانية في المناسبة، على رغم أن استقصاء بعض الأجهزة (المختصة) يؤكد أن المؤسسة الإيرانية الرسمية هي التي تقف خلف هذا النشاط وتموّله وتوجّهه، لكن دونما أي بروز أو ظهور لها، أو عبارات دعائية معلقة في بهو الاحتفال!

ديبلوماسيتنا الشعبية بحاجة ماسة إلى:
توسيع مداها أولا.
وإلى إعطائها حرية كافية، ولا أقول مطلقة.
وإلى تنسيق إطارها العام في ما بينها، لكن من دون التدخل في التفاصيل والمضامين.

**د. زياد الدريس – صحيفة الحياة ٢٠١٧/٢/٢٢**

## الإطار المرجعي لسياسات إيران التوسعية في الإقليم

د. بشير موسى نافع – القدس العربي ٢٠١٧/٢/٢٣

**يقول الإيرانيون وأصدقاؤهم العرب إن موقف طهران،** والميليشيات التابعة لها، من سوريا لا علاقة له بالطائفية. تقف إيران إلى جانب النظام السوري، وتقدم التضحيات من أبنائها للحفاظ عليه، لأنه نظام مقاوم، ولأنه وفر الدعم والمساندة لقوى المقاومة. إن سقط النظام السوري، يقول هؤلاء، سيستباح الإقليم من الإسرائيليين والأمريكيين. والمدهش، وبعد سنوات ست من الغرق في الدم السوري، أن هذه الهرطقة السياسية لم تزل تمثل الخطاب الرسمي لسياسة إيران الإقليمية، وخطاب الاعتذاريين من حلفائها.

**لم يلحظ هؤلاء أن مثل هذا الادعاء يحمل تنديدا بالشعب السوري برمته،** وكأن السوريين ليسوا محل ثقة لتولي شؤون وطنهم ولا يمكن أن يؤتمنوا على خيارات دولتهم السياسية.

**نظام الأسد وحده من يمكن الثقة في موقفه من المقاومة،** أما عموم الشعب السوري، الذي لم يتحمل شعب مثله أعباء القضايا العربية الكبرى طوال قرن من الزمان، فلا يمكن الثقة فيه. ولكن هذا الخطاب يذهب أكثر من ذلك، عندما يغض النظر عن مجمل سياسات إيران الإقليمية، ويسقط من الذاكرة، كلية، التاريخ القريب لهذه السياسات.

**افتتحت إيران مرحلة التوسع الإقليمي بمساندة الغزو الأمريكي لأفغانستان في خريف ٢٠٠١،** وتوفير تسهيلات ملموسة للقوات الأمريكية الغازية. وفي نهايات ٢٠٠٢ ومطلع ٢٠٠٣، عندما بدأت الاستعدادات الأمريكية لغزو العراق، شجعت إيران حلفاءها من القوى السياسية الشيعية على التعاون مع الأمريكيين، بل وتوفير معلومات مغلوطة لواشنطن حول سلاح العراق النووي والكيمياوي، لدفع عجلة الغزو.

**وإن كان التعاون الإيراني مع إدارة بوش في أفغانستان تم بصورة خفية نوعا،** فقد كان القادة العراقيون الشيعة ينطلقون، جهارا نهارا، من طهران إلى لندن وواشنطن للالتقاء بالمسؤولين الأمريكيين، والمشاركة في توفير غطاء عراقي للحرب الوشيكة على العراق. خلال السنوات التالية، برزت القوى السياسية الشيعية العراقية، وثيقة الصلة بإيران، باعتبارها الحليف الرئيس لإدارة الاحتلال، وأداة الاحتلال في إعادة بناء الدولة العراقية.

**ولم يشهد عراق ما بعد الغزو والاحتلال حادثة صدام واحدة بين القوى السياسية الشيعية والمحتلين على خلفية من الحرص على العراق**

واستقلاله. **وقعت حوادث صدام،** نادرة، بين الطرفين عندما ظن القادة الشيعة، في مناسبات معدودة، أن الأمريكيين يتراجعون، أو يعيدون النظر، في سياسة تسليم مقاليد العراق لهم.

**في السنوات التالية،** وبعد أخذت السلطة في الانتقال ليد العراقيين، عملت إيران بكل الوسائل من أجل أن تحكم الطبقة السياسية الشيعية، الحليفة لها، قبضتها على السلطة ومقدرات البلاد.

**في ٢٠١٠،** عندما فازت القائمة العراقية، ذات التوجه الوطني، في الانتخابات، عارضت إيران أي دور قيادي للقائمة العراقية في التحالف الحاكم، وأصرت على عودة المالكي رئيسا للحكومة. وفي ٢٠١٢، عندما خرج العراقيون في اعتصامات شعبية، رافعين مطالب محدودة ومتواضعة ومبررة بكل المقاييس، دعمت إيران الوسائل الدموية التي استخدمها المالكي لقمع حركة الاحتجاج.

**وليس في أفغانستان والعراق وحسب،** بل أن طهران لم تخف تأييدها لنظام الأسد، ومنذ اللحظات الأولى لانطلاق الثورة السورية، عندما كانت حركة التظاهر والاحتجاج الجماهيري هي التعبير الوحيد للثورة. خلال شهور ٢٠١١ الطويلة، لم تكن هناك دولة واحدة، لا بين تلك التي تحسب من خصوم إيران، مثل دول الخليج ومصر، ولا تلك التي تحتفظ بعلاقات حسنة مع إيران، مثل تركيا، قد عبرت عن انحياز ملموس لحركة الثورة السورية.

**إضافة إلى ذلك،** لم تكن حركة الثورة قد تطورت إلى نزاع مسلح، ولم يكن هناك بالتالي وجود لا للنصرة ولا جماعة الدولة الإسلامية. الحقيقة، أن أغلب الدول المهتمة بالشأن السوري، مثل قطر وتركيا، التي جمعت قياداتها علاقات وثيقة مع نظام الأسد، بذلت جهودا هائلة خلال ٢٠١١ لإقناع الأسد على وقف سفك دماء أبناء شعبه، والذهاب إلى خيار إصلاحي جاد، يوحي بمقابلة الشعب في منتصف الطريق.

**لم يكن ثمة من يدعو إلى سقوط النظام،** ولا إلى إطاحة الأسد.

**وفي الوقت نفسه،** انطلقت محاولات وساطة وحل من دوائر عربية غير رسمية، ومن دوائر رجال أعمال سوريين في الخارج، وثيقة الصلة بنظام الأسد ومؤيدة له. في إحدى هذه المحاولات، تقدم رجل أعمال سوري بمسودة دستور سوري جديد، يؤسس لإصلاحات في بنية النظام، بدون إسقاطه.

**والمدهش،** في أغلب هذه الحالات، أن النظام كان يبدي موافقة أولية على المقترحات التي تقدم له، ولكن هذه الموافقة سرعان ما يتم التخلي عنها بعد استشارة الحلفاء الإيرانيين وفي حزب الله اللبناني. مرة بعد أخرى، وبالرغم من محاولات الأتراك الحثيثة مع إيران، أظهر الإيرانيون إصرارا هائلا على بقاء نظام الأسد واستمراره، بكل الصلاحيات التي تؤهله لاستمرار تحكمه المطلق في مقاليد الحكم ومقدرات الدولة.

**ولم يكن ثمة تفسير للموقف الإيراني سوى خشية الإيرانيين من أن يؤدي تخل،** ولومحدود، من قبل النظام، عن بعض سلطاته، إلى مزيد من التدهور في موقف المجموعة الحاكمة.

**ولم يكن الموقف الإيراني في اليمن أقل طائفية عن مثيله في العراق وسوريا.** وفرت الثورة اليمنية فرصة غير مسبوقة لانضواء الحوثيين في الاجتماع السياسي اليمني، بعد سنوات طويلة من الصراع بينهم وبين نظام عبدالله صالح. لم تكن صلات الحوثيين، السياسية والعسكرية والطائفية، بإيران خافية، ولكن أغلبية اليمنيين حسبت أن عهدا جديدا يبدأ في البلاد، وأن الحوثيين يمكن أن يتحولوا إلى شركاء في بناء

يمـن يحتـضن أبنـاءه جميعـا وقـوى شـعبه الـسياسية المختلفة.

**ولكــن الحـــوثيين،** وأصـــدقاءهم في طهـــران، كـان لهـم حـسابات أخـرى. خـلال شـهور قليلـة مـن انطـلاق المرحلـة الانتقاليـة، بـدأ الحوثيـون زحفـا مطـردا مـن أجـل الـسيطرة علـى الدولـة اليمنيـة، وإخـضاع اليمنـيين جميعـا لـسلطة طائفيـة حـصرية. ولتحقيـق هـذا الهـدف، لم يكـن لـدى الحـوثيين، ولا الإيـرانيين، مـن مـانع أخلاقـي مـن التحـالف مـع الـرئيس المخلـوع، الـذي خاضـوا سلـسلة مـن الحـروب ضد نظامه.

**لعبـت إيـران،** الـتي ولـد نظامهـا الجمهـوري مـن ثـورة شـعبية عارمـة، في العـراق وفي سـوريا والـيمن دور الثـورة المـضادة بامتيـاز، بـدون أدنـى اكـتراث بآمـال الـشعوب وتــضحياتها في الـــدول الـــثلاث. الحالـــة الوحيـدة الـتي اختـارت فيهـا إيـران الوقـوف مـع الحـراك الـشعبي الاحتجـاجي كانـت البحـرين، رغـم أن لا اسـتبداد البحـرين، ولا سياسـات نظامهـا الحـاكم، يمكـن مقارنتهـا بالـسياسات الفاشـية الدمويـة الـتي تبنتها أنظمة المالكي والأسد والحوثيين.

**والمـدهش في كـل هـذا** أن حركـة الاحتجـاج الـشعبي البحرينيـة كانـت في صورتها الأغلـب حركـة الجناح الشيعي من أهل البحرين.

**الدولـــة الحديثـــة هـــي في جوهرهـــا كيـــان سياســي،** وليـست كيانـا مـسيحيا أو شـيعيا أو سـنيا. لكـن الإطـار المرجعـي للمـشروع التوسـعي الإيرانـي كـان طائفيـا مـن البدايـة، وكـذلك كـان الـديناموا المحـرك لآليـات هـذا المـشروع وأدواتـه. ولـد هـذا المـشروع بتوجهاتـه الطائفيـة انقـسامات عميقـة وباهظـة التكـاليف في المجتمعـات العربيـة ذات التنـوع الطائفي، ورسب أحقادا وعدوات.

**ولـيس ثمـة شـك** في أن الـرد علـى هـذا المـشروع مـن مواقـع طائفيـة مخالفـة سـيفاقم مـن حجـم هـذه الانقسامات والأحقاد.

**ثمـة ضـرورة** لأن يواجـه التوسـع الإيرانـي مـن علـى أرضـية وطنيـة وإسـلامية جامعـة، ولكـن هـذه المواجهـة لـن تحقـق أبـدا أهـدافها إن أخطـأت في قـراءة حقيقـة المرجعيـة والأدوات الـتي تنطلـق منهـا السياسات التوسعية الإيرانية.

## اللعب على ثقافة القطيع

**د. فراس الزوبعي– الوطن البحرينية ٢٠١٧/٢/١٥**

**ثقافـة القطيـع ليـست بعيـدة عـن مجتمعاتنـا العربيـة لأنـه في الحقيقـة بعـضها مـصابة بهـا،** فلـيس مـن المـستغرب أن نجـد اليـوم مـن يحـسن اللعـب علـى هـذه الثقافـة ويستخدمها في الخـروج مـن أزماتـه، لا سيما إذا وقف خلفه نظام شر مثل نظام الملالي.

**خـور عبـد الله اسـم تـردد كـثيراً في الإعـلام الأسـبوعين الماضـيين،** وهـو ممـر مـائي يقـع جنـوب العـراق ومـن خلالـه يطـل العـراق علـى الخلـيج العربـي، لـست هنـا لأتحـدث عـن ملكيـة هـذا الخـور كمـا هـو حاصـل في الإعـلام فمـا يهمـني هـو طريقـة افتعـال الأزمـات والتعـاطي معهـا، وباختـصار فـإن مـن تبعـات غـزو العـراق للكويـت سـنة ١٩٩٠ صـدور قـرار مجلـس الأمـن بـالرقم ٨٣٣ في العـام ١٩٩٣ يرسـم الحـدود بـين العـراق والكويـت ويجعـل مـن خـور عبـد الله قـسمين قـسم للعـراق وآخـر للكويـت، ولم يـصادق علـى هـذا القـرار في العـراق إلا في ٢٥ نـوفمبر ٢٠١٣، ثـم صـدر في العـراق قـرار آخـر قبـل أسـبوعين يقـضي بتخـصيص مبلـغ مـالي للترسـيم ووضـع العلامـات، وفجـأة افتعلـت أزمـة شـعبية في العـراق تحولـت إلى مهـاترات واستعراضـات كلـها تقـول وبـنفس واحـد «خـور عبـد

الله عراقي» ثم تهديدات وقصائد شعرية، ليس من شأنها إلا تكريس حالة العداء والكراهية بين الشعبين العراقي والكويتي، والعجيب أن كل هذه المهاترات والمزايدات موجهة إلى الكويت حكومة وشعبا ولم يتحدث أحد عن أن المشكلة هي من تبعات غزو الكويت، كما لم يتحدث أحد عن سلوكيات الحكومة العراقية في ٢٠١٣ التي لم تراجع مجلس الأمن وتعترض على قراره في ١٩٩٣ إن كان في قراره إجحاف كما هو رأي الفنيين والقانونيين في المسألة.

**المحصلة النهائية من هذه القضية هو تنامي حالة العداء بين كثير من عوام العراقيين والكويتيين،** والتي تمتد جذورها في الواقع إلى ما قبل غزو العراق للكويت، وأصبحنا أمام جيل في البلدين لم يشهد غزو الكويت وولد بعدها، لكنه يحمل اليوم عداء لم يحمله من عاش مرحلة الغزو، وبفضل ثقافة القطيع نجح من له مصلحة في نقل أزمة إن كانت واقعة فكان يجب وقوعها بين الشعب العراقي وبين الحكومة التي سلطتها إيران وأمريكا عليه، فحول الأزمة إلى أزمة بين الشعب العراقي والكويتي، وبفضل ثقافة القطيع انساق كثير ممن لا يعترفون بحكومة العراق الحالية ويعدونها حكومة احتلال، وراء هذه المهاترات وأصبحوا جزءاً منها، وبفضل ثقافة القطيع لم يتحدث أحد عن احتلال إيران لحقول النفط العراقية وما زالت مستمرة باحتلال المزيد منها بل ابتلعت العراق كله، فلم يتذكر أحد هذا الواقع الأسود وانشغل الجميع بالحديث عن خور عبد الله الذي هو في نهاية الأمر قضية عربية عربية، وبفضل ثقافة القطيع استطاعت إيران أن تجد لميليشياتها ما تشغلها به وهي قضية خور عبد الله، وبالتأكيد من يقود القطيع يعي جيداً حقيقة ما يفعل، وفي النهاية الرابح الأكبر هي إيران التي تمكنت من ابتلاع العراق وتنمية الفرقة بين الأخوة والأشقاء الذين مهما اختلفوا ومهما كانت المشاعر بينهم فهم أشقاء ليس بيد أحد منهم تغيير هذه الحقيقة.

## # - لا لروحاني - في - الجزائر..
## تقارب رسمي لا يغسل أدمغة الشعوب

**هشام منوّر - الخليج أونلاين ٢٠١٧/٢/١٢**

**ما إن أعلن السفير الإيراني بالجزائر،** رضا عامري، الخميس ٩ فبراير/شباط، عن زيارة مرتقبة للرئيس الإيراني، حسن روحاني، إلى الجزائر، حتى اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بمناقشة الزيارة المرتقبة، وسط تفاعل كبير من نشطاء وحقوقيين لإلغاء الزيارة؛ بسبب مواقف إيران السلبية تجاه دول المنطقة.

**السفير الإيراني كشف خلال كلمة له في احتفال بالذكرى الثامنة والثلاثين للثورة الإيرانية أقيم بالجزائر،** بحضور وزير التعليم العالي والبحث العلمي الجزائري، طاهر حجار، ووزير الطاقة، نور الدين بوطرفة، أنه يقوم بتنظيم برنامج لزيارة سيقوم بها الرئيس الإيراني، حسن روحاني، إلى الجزائر في القريب العاجل، بحسب وكالة «إرنا» الإيرانية.

**وأشار عامري إلى أن العلاقات بين طهران والجزائر «نموذج ناجح للروابط بين الدول»،** مذكراً بالزيارات التي قام بها الرئيس الجزائري، عبد العزيز بوتفليقة، إلى طهران، وتلك التي قام بها الرؤساء الإيرانيون السابقون إلى الجزائر، مشيراً إلى ثلاثة رؤساء إيرانيين زاروا الجزائر.

### #لا_لروحاني_في_الجزائر

التفاعل الشعبي مع إعلان السفير الإيراني في الجزائر بدأ متسارعاً، إذ دُشِنت حملة على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر»، لرفض

زيارة روحاني وإلغائها، وشهد الوسم «#لا_لروحاني_في_الجزائر» تفاعلاً جزائرياً لاقى صدى له في أوساط الناشطين، خصوصاً دول الخليج.

الناشطون الجزائريون عبّروا في تغريداتهم عن رفض سياسات إيران في المنطقة، ودورها في تخريب دول عربية وزعزعة أمنها، مثل سوريا واليمن والعراق والبحرين، محذرين من التغلغل الإيراني في الجزائر ودول الشمال الأفريقي، في أعقاب ما سموه «انكشاف ممارساته في دول المشرق العربي، لا سيما في دول مجلس التعاون الخليجي».

وذكر النشطاء في مواقفهم بحملة مشابهة نشطت في الجزائر قبل فترة لطرد الملحق الثقافي في السفارة الإيرانية بالجزائر، أمير موسوي؛ لكونه «يسعى بقوة إلى نشر التشيع في الجزائر، تحت ستار التقارب الاقتصادي بين إيران والجزائر»، بحسب قولهم.

الجدل المثار حول النشاط الإيراني «المحموم» لنشر التشيع في الجزائر، إثر تسريب مقاطع مصورة لشبان جزائريين في مدينة وهران يمارسون طقوساً شيعية، دفع وزارة الشؤون الدينية في الجزائر إلى إرسال مذكرة إلى أئمة المساجد لمنع تداول الكتب التي تدعو إلى التشيع، ومراقبة مكتبات المساجد من أجل منع وصول هذه المؤلفات إليها.

## - بيئة مناوئة.. ولكن!

الكاتب والمحلل السياسي الجزائري، إدريس ربوّح، قال في حديث مع «الخليج أونلاين»، إن الجزائر «ترتبط بعلاقات قوية ليست استراتيجية مع إيران، وتنظر إلى جدية الطرف الإيراني في العلاقة مع حلفائه».

وبحسب الخبير السياسي، يتجسد دور الجزائر في التعاون مع إيران على مستوى ما يعرف بـ«التحالف الآسيوي»؛ مع الصين كشريك تجاري، وإيران كشريك سياسي إقليمي، وروسيا في مجال الغاز والسلاح، «وكذلك التقارب حول العديد من الملفات الإقليمية؛ منها موقف الجزائر الرافض لتدخل حلف الناتو في ليبيا، وكذلك الملف السوري، بمعنى أن الجزائر تتوافق مع إيران حول عدد من ملفات المنطقة».

ومع التقارب الواضح بين الحليفين في ملفات إقليمية، يلفت ربوح خلال حديثه لـ«الخليج أونلاين» إلى أن «علاقة الجزائر مع إيران تتجسد في سياسة المصالح المشتركة بين البلدين، وليس لها أي عمق داخل المجتمع الجزائري».

ويعزو ربوّح ذلك إلى أن «صورة طهران ساءت منذ بداية الأزمة السورية لدى المجتمع الجزائري؛ بسبب موقف إيران وحزب الله السلبي في سوريا، وكذلك دورها السلبي في العراق واليمن ودورها الطائفي في المنطقة».

ويؤكد المحلل السياسي أن دول المغرب العربي «مجتمعات تدين بالمذهب المالكي حتى القراءات، ولا يمكن أن تقبل بديلاً عنها، ويعتبر المذهب أو الفكر الشيعي المتطرف دخيلاً على هذه المجتمعات؛ لذلك من الصعب أن تجد المؤسسات الثقافية الإيرانية بيئة مناسبة لأي نشاط يمكن أن تقوم به داخل المجتمع الجزائري»،

واستدرك بالقول: «سوى نشاطات قد تكون بسيطة كحال الجمعيات التنصيرية، التي تستغل أفراداً من الشباب عن طريق المال والإغراء لنشر أفكارها بشكل محدود جداً، دون الجهر بها».

## - علاقات مستقرة

ارتبطت الجزائر وإيران بعلاقات وطيدة في عهد الرئيس الراحل، هواري بومدين، وزمن شاه إيران.

ورعت الجزائر توقيع الشاه محمد رضا بهلوي، ونائب الرئيس العراقي حينذاك، صدام حسين،

على الاتفاق الشهير بين إيران والعراق سنة ١٩٧٥ والمشهور بـ«اتفاقية الجزائر»، والتي وضعت حداً للخلاف الحدودي بين البلدين.

وإثر قيام ما تعرف بـ«الثورة الإيرانية» عام ١٩٧٩، رحبت الجزائر بقيام الثورة في إيران، وزار الرئيس الجزائري الأسبق، الشاذلي بن جديد، طهران عام ١٩٨٢.

وبعد قطع العلاقات الدبلوماسية الإيرانية الأمريكية عام ١٩٨٠، رعت الجزائر المصالح الإيرانية في واشنطن. وتمكنت الدبلوماسية الجزائرية من التوصل إلى اتفاق مع إيران، للإفراج عن رهائن في السفارة الأمريكية بطهران.

### - فترة توتر

اتهمت الحكومة الجزائرية في عهد رئيس الوزراء الجزائري الأسبق، رضا مالك، إيران بدعمها السياسي والإعلامي لـ«الجبهة الإسلامية للإنقاذ»، وانتهى الأمر بقطع الجزائر علاقاتها الدبلوماسية مع طهران في مارس/آذار ١٩٩٣. كما تراجعت الجزائر عن رعاية المصالح الإيرانية في أمريكا.

### - عودة الدفء

ظهرت بوادر التصالح بين إيران والجزائر منذ عهدي الرئيسين الجزائريين الأسبقين، علي كافي والأمين زروال، وترسخ هذا التوجه مع الرئيس الحالي، عبد العزيز بوتفليقة، فأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠ وتم تبادل السفراء في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠١.

وزار الرئيس بوتفليقة إيران في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٣، كما زار الرئيس الإيراني الأسبق، محمد خاتمي، الجزائر في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٤، وبذلك كان أول رئيس إيراني يزور الجزائر منذ عام ١٩٧٩.

ويلمح الرئيس الجزائري بوتفليقة مراراً خلال تصريحاته إلى حق «حكومات الجنوب» في امتلاك التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية، يعني ذلك ضمناً الوقوف إلى جانب إيران في ملفها النووي، وتعزيز التعاون الاقتصادي على خلفية التقارب السياسي بين حكومتي البلدين.

ومع تقارب المواقف السياسية بين طهران والجزائر في الملفات الإقليمية، يرجح مراقبون أن ينعكس ذلك على العلاقات الاقتصادية. حيث أنشأ البلدان لجنة اقتصادية مشتركة عقدت أول اجتماع لها في يناير/كانون الثاني ٢٠٠٣ في الجزائر. وانبثق عن هذه اللجنة توقيع عشرين مذكرة تفاهم بين البلدين، تشمل العديد من المجالات.

## "الإقليمية" في جوهر الاشتباك التركي - الإيراني

د. علي حسين باكير – القبس الكويتية ٢٠١٧/٢/٢١

**خلال أقل من أسبوع،** شنّ مسؤولون أتراك حملة انتقادات لاذعة ضد السياسة الخارجيّة الإيرانيّة في المنطقة، ونُقِلَ عن رئيس الجمهورية التركية تحذيره خلال زيارته للبحرين الأسبوع الماضي من عنصرية فارسية، تسعى إلى تمزيق العراق وسوريا، وفق أجندة طائفية.

**وفي المؤتمر الذي أقيم في ميونخ قبل أيام،** أشار وزير الخارجية التركي مولوود تشاووش أوغلو ــ خلال كلمة له وسط حضور دولي رسمي عالي المستوى، وبمشاركة وزير الخارجية الإيراني ــ إلى أنّ طهران تهدد أمن واستقرار المنطقة، وأنّ لديها طموحاً إقليمياً يستند إلى سياسة طائفية، قائلاً: «سياسة إيران الطائفية تقوّض ـ للأسف ـ السلام في عدد من الدول الإقليمية؛ مثل البحرين والسعودية، وعدد آخر من بلدان الخليج. إيران تسعى أيضاً إلى تحويل سوريا والعراق إلى دولتين شيعيتين، وهذا أمر خطير للغاية، ولذلك نحن بحاجة إلى أن نحث

إيـران علـى التوقّـف عـن هـذا الطمـوح الـذي يمـس بالاستقرار والأمن».

**وفي الـسياق نفـسه،** شـدّد مـوجز اللقـاء الـذي تمّ في ١٨ فبرايـر الجـاري بـين رئـيس الـوزراء التركـي بينـالي يلـديريم ونائـب الـرئيس الأميركـي مايـك بـنس علـى اتفـاق الطـرفين في عـدم الـسماح لإيرانـي بتقـويض الأمن والاستقرار في المنطقة.

**هــذا الانتقــاد التركــي الــشديد والعلــني للـسياسة الطائفيــة الإيرانيــة في المنطقــة** ولأجنـدة النظـام الإيرانـي التوسـعيّة دفـع بهـرام قـاسمي المتحـدث باسـم الخارجيـة الإيرانيـة إلى القـول إنّ إيـران تأمـل في أن «يتحلّـى المـسؤولون الأتـراك بالمزيـد مـن الـذكاء في تـصريحاتهم تجاههـا، كـي لا تـضطر إلى الـرد، وأنّ إيـران سـتلتزم جانـب الـصبر، ولكـن للـصبر حـدوداً». وبمـوازاة ذلـك، قامـت الخارجيـة الإيرانيـة باسـتدعاء الـسفير التركـي في طهـران هاكـان تكـين علـى خلفيـة التـصريحات التركيـة، وأبلـغ إبـراهيم رحـيم بـور نائـب وزيـر الخارجيـة الإيرانـي الـسفير التركـي اعـتراض بـلاده الـشديد وإدانتهـا هـذه التـصريحات الموجّهة ضدّها.

**وردّ النــاطق باســم الخارجيــة التركيــة حــسين مفــتي أوغلــو بــالقول** «لا يمكــن فهــم أو تقبــل الاتهامـات الإيرانيـة للآخـرين، بينمـا لا تتـورّع عـن إرسـال مـن لجـؤوا إليهـا بـسبب الأزمـات في المنطقـة، إلى ســاحات الحــروب، وهــي المــسؤولة عــن التــوتر وعـدم الاسـتقرار في المنطقـة»، في إشـارة إلى تجنيـدها الـشيعة الأفغـان للـذهاب للقتـال في سـوريا، مـضيفا أنّ إشـادة الإيـرانيين بـسياسة بلادهـم الخارجيـة الإقليميـة تتعـارض بـشكل كـبير مـع مخـاوف الأمـم المتحـدة ومنظمــة التعــاون الإســلامي مــن هــذه الــسياسات، داعيـاً إيـران إلى إعـادة النظـر في سياسـاتها تجـاه دول المنطقة واتخاذ خطوات بنّاءة في هذا المجال.

## جملة من الأسباب

يعـود تـصاعد الانتقـاد التركـي لإيـران في هـذه المرحلـة إلى جملـة مـن الأسـباب ذات الطـابع الإقليمـي، مـن بينهـا مـا يقـول مـسؤولون أتـراك رفيعـو المـستوى إنّهـا جهـود إيرانيـة حثيثـة لتقـويض الوضـع في سـوريا، مـن خـلال حـثّ الأسـد والميليـشيات الـشيعية علـى الاسـتمرار في العمليـات العـسكرية، ومحاولـة عرقلـة التعـاون الروسـي ـــ التركـي وافتعـال مـشاكل وخلافات بين الجانبين.

ويترافـق ذلـك ـــ أيـضاً ـــ مـع مجـيء الإدارة الأميركيـة الجديـدة الـتي تبـدو ـ علـى عكـس الإدارة الـسابقة ـــ مـستعدة لاتخـاذ خطـوات عقابيّـة جـادة بـشأن التوسـع الإيرانـي الإقليمـي، ومنفتحـة علـى التعـاون مـع دول المنطقـة، للحـد مـن قـدرة إيـران علـى زعزعـة الأمـن والاسـتقرار، وهـو مـا يؤكـد المعلومـات الخاصـة الـتي نقلناهـا سـابقا عـن فحـوى الاتـصال الهـاتفي الـذي تمّ بـين دونالـد ترامـب والـرئيس التركـي في ٧ فبراير الجاري.

ويحـاول الجانـب التركـي التنـاغم مـع بعـض أوجـه سياسـات إدارة ترامـب للتأكيـد علـى النقـاط المـشتركة، وفي هـذا المجـال بالتحديـد يـساعد انتقـاد إيـران علـى تحقيـق هـذا الغـرض، لا سـيما مـع تـصاعد وتـيرة الاسـتياء التركـي مـن الـسياسات الإيرانيـة مـن جهـة، ولأنّ مثـل هـذا الموقـف سـيدفع ـ أيـضاً ـ باتجـاه تمـتين العلاقـة مـع دول مجلـس التعـاون، حيـث تتطـابق الـرؤى بـين الطـرفين في مـا يتعلـق بـسوريا والعـراق والـيمن، وكلـها ملفـات لا يجمـع بينهـا إلا وجـود تدخّل إيراني قوي، طائفياً وعسكرياً وسياسياً.

وفي الوقـت الـذي يـرى فيـه الـبعض أنّ مثـل هـذا التـوتّر مؤقّـت وسـيزول، يعتـبر آخـرون أنّ الاخـتلاف الجـوهري والعميـق بـين الطـرفين موجـود، وسـيبقى كـذلك، وأنّ وجـود علاقـات اقتـصادية قويـة مـع إيـران بحكـم الجغرافيـا لا يمكـن أن يمنـع الجانـب

التركي من انتقاد النظام الإيراني بشكل قوي، والإشارة إلى مكمن التناقض معه إزاء سياساته الطائفية والتخريبية في المنطقة.

هناك من يعتقد أيضاً أنّ الواقعيّة تتطلّب إشراك إيران في حل المشاكل المشتعلة في المنطقة، وأنّ استبعادها ستكون له نتائج عكسيّة؛ إذ إنّها ستبقى قادرة على التخريب والتعطيل، في حين إنّ إشراكها سيعطي الإمكانية لدول المنطقة لاحتوائها، لكن مثل هذه الرؤية لدى بعض المسؤولين الأتراك تتجاهل بطبيعة الحال الخبرة التاريخية بسلوك النظام الإيراني.

### تباينات داخلية

مثل هذا التباين لا يقتصر أيضاً على المتابعين فقط، ففي حين لا يخفي مسؤولون أتراك رفيعو المستوى ـ من بينهم الرئيس أردوغان ـ امتعاضهم من إيران، وانتقادهم لها سرّاً وجهراً، حينما يستدعي الأمر ذلك، لا يريد بعض النافذين في تركيا في مواقع مختلفة من صنع القرار حصول تصعيد مع طهران، وغالباً ما يسعى هؤلاء للتأثير بطرق مختلفة في الاتجاه الأول استناداً إلى مبررات مختلفة اقتصادية وسياسية، في حين يعتمد بعضهم على التوجه «الإسلامي المحافظ» لجسر الهوّة معها، وهو اتجاه، وإن تقلّص كثيرا في تركيا في السنوات الأخيرة، مقارنة بما كان عليه قبل اندلاع الثورات العربية، إلا أنّه لم ينته بشكل كلي.

نائب رئيس الوزراء والناطق الرسمي باسم الحكومة التركية نعمان قورتولموش كان قد قال للصحافيين مؤخرا إنّ «إيران وتركيا بلدان صديقان. هناك اختلاف في وجهات النظر من حين لآخر، لكن لا يمكن أن تولد عداوة بسبب تصريحات، وحتى لو ظهرت خلافاتنا السياسية مع إيران فإنه ينبغي عدم تضخيمها بشكل كبير».

ومن المفارقات أنّ الجانب الإيراني حاول استغلال الزيارة التي أجراها رئيس الجمهورية حسن روحاني إلى كل من الكويت وسلطنة عُمان للترويج بأنّ إيران تسعى إلى علاقات جيّدة مع جيرانها، في الوقت الذي حرص فيه الجانب التركي على توحيد الأجندات إزاء القضايا الإقليمية المشتعلة.

ومن البديهي القول إنّه ما لم ترجّح كفة العلاقات السياسية والاقتصادية والأمنيّة التي تضمن ترسيخ المصالح المشتركة مع طرف من هذه الأطراف (إيران ودول الخليج العربي)، فان التجاذب سيبقى قائماً، علماً بانّ هناك من يسعى بالفعل إلى توثيق العلاقة مع دول الخليج العربي للتخلّص من قدرة إيران على استخدام بعض الأوراق في ليّ ذراع تركيا إقليمياً، لكن لا يزال هناك تخوّف لدى المسؤولين الأتراك من عودة ملف «الإخوان المسلمين» كملف خلافي بين تركيا وبعض دول مجلس التعاون، في حال شروع إدارة ترامب في تصنيف «الإخوان» منظمةً إرهابية، وهو الأمر الذي لو حصل فعلاً فإنه لن يصبّ إلاّ في مصلحة إيران.

## إيران أم إسرائيل من هو العدو؟

**ناجي حرج -**
**موقع الجبهة الوطنية والقومية والإسلامية ٢٠١٧/٢/١٨**

**غالبا ما يحشر اسم إسرائيل عندما يكون الحديث عن الخطر الإيراني**، وكأن هنالك من يقول تعالوا نقيم صداقة مع إسرائيل مقابل ان نعادي إيران ! أو لننسى القضية الفلسطينية ونتوجه الى ما تمثله إيران من خطر... وذلك غير صحيح، فالمشروعين معاديان لنا...

**حقيقة لا اعرف لماذا نصر على عدم الاعتراف ان إيران هي من اختار**، بمحض ارادتها، ومن مدة طويلة جدا ان تكون عدوة للعرب. وقد تعاظم وترسخ ذلك بعد مجيء خميني للسلطة. فقد نصب نفسه اماما لكل الامة ولم

يكن ينتظر من العرب، حملة الرسالة الإسلامية، سوى ان يقدموا له فروض الولاء والطاعة.

**بمجيء خميني،** تحولت كل عقيدة إيران السياسية والفكرية والتعليمية لترسيخ العداء للعرب (الجهلة المتخلفين ....اكلة الجراد. ... الخ، مع الشكر لما انارنا به د. نبيل العتوم)..

**مع ذلك يقول بعض الاساتذة:** علينا ان لا نقع في الفخ. وكاننا مغفلين وهنالك من يود ايقاعنا في فخ العداوة مع إيران.

**فهل بدأ العرب العداوة لإيران؟** ام انها اعلنتها صراحة منذ الايام الاولى ل(ثورتها) انها تسعى الى تصديرها الينا.

**كثيرون مازالوا منبهرين بما يسمونه الثورة الإيرانية.** نعم ثار الشعب ضد الشاه لكن الثورة انقلبت على الشعب المسكين وتحولت الى حكم دكتاتوري باستخدام الدين غطاء لذلك فكانت (ولاية الفقيه) هي الوسيلة لهذا الحكم الذي هدفه المعلن حسب الدستور (التوسع) الى كل الدول الاخرى ليجاري بذلك اي دولة استعمارية امبريالية.

**طبعا هنالك من يرى ان حال الامة سيء وكانت تواجه عدو واحد هو (إسرائيل)** لذلك فهو يمني النفس في ان لا يزداد اعداءها. وهذا عين الصواب، لكن لقد سبق السيف العذل فقد حسمت إيران امرها في معاداة امتنا بمشروع يتغلغل وينمو بتسارع من موريتانيا غربا الى البحرين شرقا وهدفه قضم هذه الامة باسم الدين والحوار وذلك من خلال المراكز الثقافية التي هدفها المعلن التقريب والتوحيد في حين ان هدفها الأساس، هو التخريب والتدمير واثارة الفتن. واقسم بالله ان الدول العربية الساكتة على ذلك التغلغل سترى في وقت جد قريب نتائج هذا السكوت واثاره الكارثية.

**ومن هنا فامامنا عدوين يتربصان شرا بنا لكل أساليبه وخططه لكنهما يتخادمان احيانا عندما يكون الهدف تدمير مقدراتنا (إسرائيل** كانت تمد خميني بالسلاح اثناء الحرب مع العراق - إيران كونترا)، لقد دمرت إسرائيل المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ بغارة مباشرة، لا نعرف ما الذي منعها من تدمير اي مفاعل نووي إيراني او حتى محاولة ذلك..؟

**وبعد غزو ٢٠٠٣** فقد سعدت إسرائيل بحل الجيش العراقي وتحول العراق الى دولة فاشلة....لكن من حقق لها ذلك؟ لقد حاولت امريكا من خلال خطط وقرارات لكن المقاومة العراقية كادت تحبط كل ذلك واقتربت هزيمة امريكا في العراق لولا ان إيران قد تغلغلت بسرعة الى مفاصل الدولة من قبل عملائها القدامى والجدد ومدت ميليشياتها بكل اسباب القوة لتبدء حملات القتل والتهجير الطائفي فاضطرت الملايين الى الهجرة من العراق (بعد عام ٢٠٠٦) في موجات لم تحدث ابدا - كما توقع كثيرون - عند بدء الحرب على العراق في ٢٠٠٣. ثم واصلت جرائمها حتى حولت العراق الى دولة فاشلة فحققت لإسرائيل ما لم يكن في احلامها....

**إيران عملت و تعمل بجد على الصعيد الدولي وضمن خطط وعمل سياسي دؤوب،** ومن خلال اذرع تنتشر في مختلف العواصم، على ربط (السنة) بالارهاب. وقد حققت بذلك نتائج واضحة من خلال دعم عشرات المنظمات غير الحكومية ومراكز البحوث...وهو ما تطلب عمل مضني بالمقابل لمجابهتها لكنه عمل اعتمد على مبادرات فردية دون ان تقف دولة داعمة لذلك.

**ختاما،** لنكن واضحين....ما المطلوب منا...في تقديري:

١. لـيس المطلـوب مطلقـا التطبيـع مـع الكيـان الـصهيوني المحتـل بـسبب العـدواة مـع إيـران فـذلك قمـة الخيانة....بل مجابهة المشروعين الاستعماريين.

٢. لـيس المطلـوب معـاداة الـشيعة العـرب بـل العمـل على مجابهـة عمليـات نـشر التـشيع الـذي تقـوم بـه إيـران في المجتمعات العربية (السنية).

٣. لـيس المطلـوب المبـادرة والهجـوم علـى إيـران بـل يجــب اجهــاض مــشروعها التوســعي في بلادنــا ومجابهتـه بـالفكر والتـنوير وفـضح أسـاليبها ومحاربـة ميليشياتها وتجريم اعمالها.

## حزام الفتن حول جزيرة العرب

د. نزار السامرائي -
مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية ٢٠١٧/٢/٢٠

**ربمـا كانـت الحكومـة الـشرعية في الـيمن وكـل مـن يـساندها في معركـة الأمـة ضـد المــشروع الإيرانــي العــدواني التوســعي** الــذي لا يخـشى مـن ردود فعـل المـسلمين أو المجتمـع الـدولي عنـدما يرفـع شـعار تـصدير الثـورة ونـشر بدعـة «ولايـة الفقيـه» الـساقطة أخلاقيـا وشـرعيا في كـل الأرجـاء، ربمـا كانـت مقـصّرة إلى أبعـد الحـدود في نـشر معانـاة أبنـاء مدينـة تعـزّ مـن ظلـم مليـشيا الحـوثيين الإرهابيـة الــتي تحاصــر المدينــة وتخنقهــا منــذ اليــوم الأول للانقـلاب الـذي نفـذه الحوثيـون بتواطـؤ متعـدد المحـاور إقليميــا ودوليــا اضــطلعت عناصــر علــي عبــد الله صــالح في تنفيــذه بالــدور الميــداني الكــبير، وكــأن هنــاك ثــأرا تاريخيــا مــع هــذه المدينــة تحملــه أطــراف كــثيرة متعــددة الــدوافع والنوايــا هــذه المدينــة الــتي تتميـز بأنهـا مدينـة المعرفـة والثقافـة والأكثـر تقـبلا لحـوار الثقافـات وتلاقحهـا، ويبـدو أن طابعهـا ودورهـا الريـادي في الثـورة الـشعبية ضـد علـي عبـد صـالح عـام ٢٠١١، كـان سببا في معظم ما عانت منه وما تزال.

**وربمـا كانـت حكومـة عبـد ربـه منـصور هـادي فاشـلة نتيجـة عجـز أو لعـدم وجـود رؤيـة سـليمة في كوادرهـــا،** في التعـــرف علـــى آليـــات التخاطـــب إعلاميــا مــع المجتمــع الــدولي والمنظمــات الإنــسانية والأمـم المتحـدة، أمـا إسماعيـل ولـد الـشيخ أحمـد فهـو أحـد مرتزقـة الوظيفـة والجـاه المفقـود اللـذين توفرهمـا لـه مهمتـه كممثـل للأمـين العـام لـشؤون الـيمن ولـو كـان ذا قيمـة تـذكر لمـا فـرط بـه بلـده وهـو الـذي يحتـاج إلى أي جهـد للخـروج مـن معـضلاته الداخليـة ولكنـه عـوض نقـصه في العمـل للأمـم المتحـدة، فهـو لا يريـد لمهمتـه أن تنتهـي أبـدا بـل هـو حالـه كحـال ديمـستورا وكـوبلر وغيرهـم مـن شـاغلي الوظـائف الأمميـة الـذين لا يطيـب لهـم إلا الـرقص علـى أنـين الـضحايا المتـزج مـع دوي المـدافع وأزيـز الرصـاص بـين المتحـاربين مـن دون تكـافؤ في حجـم القـوة الناريـة ومناظر البؤساء والجائعين والمشردين في الفيافي.

**فلمـاذا تقـام كـل هـذه الـضجة الدوليـة والـتي شـاركت فيهـا منظمـات حقوقيـة وإنـسانية دوليـة حـول مـا يـصفه «ولـد الـشيخ أحمـد»** في تقريـره بعـد بـدء معركـة تحريـر «المخـا» بالوضـع الإنـساني المأسـاوي في الـساحل الغربـي للـيمن «علـى البحـر الأحمـر»؟ وأيـن كانـت الأمـم المتحـدة وممثلـها ولـد الـشيخ والمنظمـات الحقوقيـة والإنـسانية عمـا يحـصل لمجمـوع الـشعب الـيمني جـراء مـا تفرضـه مليـشيا الحـوثيين وصـالح مـن إجـراءات وتـدابير وانتهاكـات منهجيـة لحقـوق الإنـسان؟ وهـل حقـا أن المحنـة الإنـسانية في الـساحل الغربـي للـيمن لم تـنشأ إلا بعـد انطـلاق معركـة تحريـر الـساحل ابتـداء مـن بـاب المنـدب وميناء المخـا ومـن ثـم الحديـدة وصـولا إلى نقطـة الحـدود مـع المملكـة العربيـة الـسعودية؟ ثـم لمـاذا لا تريـد الأمـم المتحـدة جعـل مينـاء عـدن العاصـمة المؤقتـة للـيمن محطـة اسـتقبال المعونـات الإنـسانية ولـيس الحديـدة؟ علـى الـرغم مـن أن الجانـب الأعظـم مـن تلـك المـساعدات تـأتي مـن المملكـة العربيـة

السعودية؟ وكأن هناك إصرارا على تحويل تلك المساعدات لصالح ميزانية الانقلابيين الذين يجبون الضرائب عليها وتمويل ميزانية إرهابهم؟ أم أن المحنة تتجسد في سطو المليشيات الخارجة على الشرعية المحلية والعربية والدولية على مقاليد اليمن وثرواته على محدوديتها؟ وفي اعتماد أكثر الوسائل الإرهابية بطشا والمقتبسة من تقاليد دولة الولي الفقيه وشعار تصدير الثورة وأذرعها الخارجية مثل مليشيا حزب الله اللبناني ومليشيا الحقد الطائفي التي يحمل أفرادها الجنسية العراقية المكتسبة بعد الاحتلال الأمريكي الإيراني؟ وإذا كانت نوايا الشر قد حددت الموانئ اليمنية على البحر الأحمر كمراكز للمساعدات الغذائية وغيرها من المساعدات الإنسانية، فهذا جزء من قرار التآمر على الشرعية في اليمن وخاصة من جانب إدارة الرئيس الأمريكي الراحل باراك أوباما التي حرصت على عدم فتح جبهة لها مع إيران في أي ساحة في العالم، وكأنها تسعى للإبقاء على بؤر التوتر الدولية كي يكون ذلك مسوغا لأمريكا للتواجد في كل مكان تحت لافتة حماية الأمن القومي الأمريكي من الأخطار الخارجية.

**إن الحديث عن معاناة اليمنيين أمر مشروع لأنه حقيقة لا يمكن تجاهلها،** ولكن غير المشروع فيه هو محاولة تحويل جانب منه إلى الشرعية، وحتى في حال تحميل طرفي المعادلة مسؤولية متكافئة غير جائز أبدا، فالانقلابيون ينفذون نيابة عن إيران إحدى صفحات المشروع الإيراني التوسعي الذي يريد تطويق الجزيرة العربية بحزام الفتن الفارسية والقواعد البحرية والقواعد الصاروخية لنشر ولاية الفقيه في دول العالم الإسلامي بلا استثناء، ولم يخف زعماء إيران المعممون أو العسكريون أو زعماء الأذرع الإرهابية التابعة لهم نيتهم في بسط الهيمنة الفارسية تحت لافتة التشيع، فاستطاعت استغفال بعض الشيعة العرب الذين هم على استعداد لبيع أنفسهم بثمن رخيص لكل من يدفع أكثر، ثم ليكونوا مخالب وأنيابا لإيران الإرهابية في كل مكان، لهذا يجب على الشرعية مواصلة التحرك العسكري لحسم معركة الساحل وعدم منح الإرهابيين فسحة لاسترداد الأنفاس، كما أن تعزيز التحرك السياسي والدبلوماسي لعزل إيران على الساحة الدولية، والتحرك الإعلامي بنشاط أكبر لتعرية دوافع الضجة التي تشارك فيها أطراف إقليمية ودولية لا تخلو من نكهة فارسية ذات نهايات ناعمة ولكنها مدببة إلى حدود غير متصورة.

**وعلى العرب والمجتمع الدولي ألا يقعا فريسة خديعة الزعم الإيراني بوجود تيارين في إيران،** إصلاحي ومعتدل، فلا اعتدال في إيران وإنما تبادل أدوار محكوم بدقة من قبل المرشد بين وجوه لا تختلف في تنفيذ المشروع الإيراني العالمي وإن اختلفت على الغنائم وحتى في وجود اختلاف بين المعممين في إيران فهي خلافات تنحصر في من يقدم أكثر لإعطاء دفعة أقوى للمشروع الإيراني التوسعي العدواني.

## لكيلا نكون "نعاجيّين"

**مجاهد مأمون ديرانية - مدونته ٢٠١٧/٢/١٣**

- ١ -

دعوت من نحو سبعة عشر شهراً إلى استئصال عصابة جند الأقصى وتشريد عناصرها لكسر شوكتهم وكفّ شرهم ولوقفهم عن البغي والغدر والعدوان، وكتبت بعدها في التحذير من هذه العصابة والدعوة إلى استئصالها مرات كثيرات، فاتُّهِمت في ديني وأمانتي ولقيت عنتاً كبيراً من الشبيحة والحمقى والمشاغبين. ثم ظهر من ضرر

هـذه العـصابة وإثمها وبغيها مـا كـشف أمرهـا وأثبت شـرّها، حتـى إذا همّت بعـض الفـصائل بقتالهـا (وعلـى رأسـها أحـرار الـشام) بـادرت جبهــة النــصرة إلى احتوائها وقدمت لها الحماية والحضن الرؤوم.

ولّمـا نـشر أبـو يحيـى الحمـوي (أمـير الأحـرار حينهـا) كلمتـه المـشهورة في هــذه العـصابة الآثمــة ووصــفَها بالــشرذمة النجـــسة ردّ عليـــه حـــسام الـــشافعي، المتحـدث الرسمـي باسـم جبهـة النـصرة، ردّ بعـشرات التغريـدات الـتي أسـبغ فيهـا علـى عـصابة الجنـد مـن كـــريم الأوصـــاف مـــا جعلـــها في رتبـــة الـــصحابة والأولياء، وكـان ممـا قالـه في تلـك التغريـدات: «عـذراً أيهـا الـشيخ الكـريم، فإننـا لم نقبـل بيعـة شـرذمة نجـسة، بـل مجاهـدين أطهـار سمـع الجميـع بـصولاتهم في معركـة تحرير إدلب».

ثـم دار الزمــان نـصفَ دورة فـصار الأطهـارُ خـوارجَ وأعلنـت جبهـة النـصرة الحـرب علـيهم وبـدأت بقتـالهم قتال الإفناء والاستئصال.

- ٢ -

لـن أخاطـب جبهـة النـصرة ولـن أسـألها، فـإنني أعلـم أن قتالهـا للجنـد إنمـا هـو قتـال مـصلحة ونفـوذ لـيس فيـه شـيء لله، ولا تهمـني نتيجـة القتـال، فإنـه وسـيلة ينـتقم الله بهـا مـن الطـرفين، وهـو مـن بـاب ضـــرب الظـــالمين بالظـــالمين، إنمـــا أوجّـــه خطـــابي وسـؤالي لمَـن دافـع عـن عـصابة جنـد الأقـصى يومَهـا واتهـم مـن قاتلـها أو دعـا إلى قتالهـا بالعمالـة والخيانـة والتحـريش والإفـساد، سـؤالي لهـؤلاء النـاس: مـاذا أنـتم اليوم قائلون؟

إنْ قلـــتم إن الجنـــد مجاهـــدون أطهـــار لـــزم مـــن قـولكم أن النـصرة (هيئـة تحريـر الـشام) بغـاة معتـدون آثمـــون، وإنّـــا - إذن- بانتظــــار إدانـــتكم واســتنكاركم لهـذا البغـي والعـدوان. وإن قلـتم إن الجنـد مجرمـون آثمـون يـستحقون القتـال والاستئـصال فـأين تـذهبون بـرأيكم القـديم؟ وبـأيّ شـيء تختلفـون عـن الـذين سُـئلوا ذات يـوم: مـا تقولـون في عبـد الله بـن سـلام؟ كيـف تكـون جماعـة الجنـد يومـاً خيـاراً مـن خيار ثم تغدو في يوم آخر شِراراً من شرار؟

سـوف تـسمعون مـن النـصرة أنواعـاً مـن الأعـذار والتبريـرات، ولعلـهم يقولـون: اختلفـت الظـروف وصـار قتـال الجنـد اليـوم فريـضة ومـصلحة بعـدما كـان بـالأمس حرامـاً ومفـسدة. عنـدما تـسمعون مـنهم هـذه التبريـرات سـتقفون أمـام لحظـة مـن لحظـات الحقيقـة: إمـا أن تؤوبـوا إلى عقـولكم فتنفـضوا عنهـا الغبـار وتبـدؤوا باسـتعمالها بعـد التعطيـل الطويـل (وأرجـو أنهـا مـا زالـت تعمـل) أو ستـصدقون وتبـدؤون بترديـد مـا تـسمعون، فنقـــول لكـــم عنـــدها: لكـــل داء دواء يُستطَبّ بـه إلا الغفلـة والهـوى، فاسـتجيبوا لنـداء الهـوى والعـــصبية إن شـــئتم، أو ابقـــوا - إن شـــئتم- نعاجيين.

- ٣ -

وُلـدت في اللغـة الإنكليزيـة بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة كلمـة جديـدة لم تكـن مـن قبـل: (Sheeple)، وهـــي منحوتـــة مـــن كلمتَـــي النـــاس والنعـــاج (sheep+people) وتــصف الــذين ينقــادون طواعيــةً للتوجيـه الخـارجي. ربمـا كانـت كلمـة «نعـاجيّين» مناسـبة لوصـف هـؤلاء الأشـخاص الـذين تخلّـوا عـن نعمـة العقـل وزهـدوا في الـتفكير الحـرّ وآثـروا أن يمـشوا مـع القطيـع كالنعـاج بـلا تـساؤل ولا تفكـير، أجّـروا عقـولهم لغيرهـم وقبلـوا راضـين بـأن يكونـوا أبواقاً يرددون ما يقوله الآخرون.

يـا أيهـا المؤيـدون لجبهـة النـصرة والمـدافعون عنهـا في كــل واد ونــاد وفي كــل حــال وحــين، ويــا مــن دافعـتم بـالأمس عـن جنـد الأقـصى وخـوّنتم مَـن قاتلـهم قتـال الـدفاع ودَرْء الـشر ودَفْـع العـدوان: أعيـذكم بـالله أن تكونـوا نعـاجيين! افتحـوا أعيـنكم المغلّقـة وشـغّلوا عقـولكم المعطلـة ولـو مـرة واحـدة، وعنـدها ستبـصرون الحقيقـة: إن جنـد الأقـصى كـانوا خـوارج علـى الـدوام، وإن جبهـة النـصرة آوتهـم وهـم معتـدون مُحْـدثون، فتحقـق فيهـا وعيـد الـصادق المـصدوق:

«لعن الله من آوى محدثاً»، وسوف تلقى وعيدها ولو بعد حين.

افتحوا أعينكم وشغّلوا عقولكم وسوف تكتشفون الحقيقة، وستدركون أن الدفاع عن المجرمين جريمة تعادل في وزرها وقبحها الجريمةَ التي ارتكبها المجرمون، فلا تكونوا - منذ اليوم- ظهيراً ونصيراً للظلَمة والمعتدين.

## الحشد يطبق خطة لتغيير ديموغرافي بالعراق

**ليث عبد الواحد – عربي ٢١ ٢٠١٧/٢/٢٢**

**كشف مصدر موثوق لـ«عربي٢١»**، الأربعاء، عن خطة وضعتها مليشيا بدر بقيادة هادي العامري، لإحداث تغيير ديموغرافي في المناطق ذات الغالبية السنية بعد أن تتم استعادتها من تنظيم الدولة.

**وقال المصدر رافضا الكشف عن هويته**، إن الخطة تتلخص بأن «تنشئ مليشيات الحشد الشعبي منظمات مجتمع مدني تعمل من أجل إعادة إعمار وتأهيل المناطق المحررة بتمويل وإسناد حكومي وحزبي، وحتى من منظمات دولية».

**وبعد ذلك**، وفقا للمصدر، فإن «المليشيات تتحول إلى منظمات مجتمعية بمختلف الصنوف وتتمدد لتشغل مؤسسات الخدمة، وأجهزة الدولة المحلية بما لها من نفوذ وسلطة وتمويل، ثم يدخل أفرادها الانتخابات كمواطنين أصلاء من أبناء المحافظة».

**وأكد المصدر القريب من الحشد الشعبي**، أن «هذه الخطة تم بالفعل المباشرة بتنفيذها في محافظتي ديالى والأنبار، فيما يجري اليوم العمل على قدم وساق لتطبيقها في محافظة نينوى بعد استكمال استعادة مدينة الموصل بالكامل».

**وكانت «عربي٢١»** نشرت في وقت سابق من شهر كانون الثاني/ يناير الماضي، تقريرا عن رفض مليشيات الحشد الشعبي عودة نازحي محافظة ديالى إلى مدنهم بعد مرور أكثر من عام ونصف العام على استعادتها من سيطرة تنظيم الدولة.

**ولم يسمح لعودة أكثر من ٢٠٠ ألف نازح** يتواجدون في مخيمات النزوح بعد نزوحهم من مدن «جلولاء، السعدية، المقدادية، الخالص، أبي صيدا، منصورية الجبل»، عقب سيطرة تنظيم الدولة عليها في حزيران/ يونيو ٢٠١٤.

**ورغم التعهدات التي أبدتها السلطات الأمنية في المحافظة** قبل نحو شهرين من نهاية العام الماضي بإعادة النازحين خلال مدة أقصاها ٦٠ يوما، إلا أنه لم يتغير شيء على أرض الواقع بعد مرور ١٩ يوما على انقضائها.

**وفي تقرير آخر نشرته «عربي٢١»** في تشرين أول/ أكتوبر الماضي، كشف عن «قيام مليشيا بدر بافتتاح مقر لها أطلق عليه اسم (المكتب الثقافي لمنظمة بدر) في البوعلوان بمنطقة النسّاف غربي مدينة الفلوجة».

**المصادر**، أوضحت في حينها أن المقر تم افتتاحه في منزل خال لأحد عناصر تنظيم الدولة، فيما يدير المكتب أحد شباب المنطقة ويدعى اختصارا «ص.م» العلواني.

**يذكر أن مصادر خاصة أفادت في ٣٠ حزيران/ يونيو الماضي**، بأن مليشيا الحشد الشعبي وضعت خطوات ستباشر بتنفيذها لتغيير هوية مدينة الفلوجة «السنية»، بعدما تمت استعادتها من تنظيم الدولة بشكل كامل.

**وتسيطر مليشيا بدر على قضاء الدور أحد أكبر مدن محافظة صلاح الدين الخالي من**

**المكون الشيعي**، منذ استعادته من تنظيم الدولة في آذار/ مارس ٢٠١٥، فيما اتهمت المليشيا بخطف نحو ١٦٠ مدنيا من أهالي القضاء ولم يعثر عليهم حتى الآن.

**وتتعرض محافظة صلاح الدين ذات الغالبية السنية**، إلى ممارسات عدة تتبعها منظمات ومليشيات مرتبطة بإيران لتغيير هويتها، وذلك بعدما تمت استعادة أغلب أقضيتها من سيطرة تنظيم الدولة، حسبما ذكرت مصادر خاصة.

**وقالت مصادر في حديثها لـ«عربي٢١»**، في كانون أول/ ديسمبر الماضي، إن «خطوات التشييع المجتمعي تجرى على قدم وساق منذ استعادة مدن المحافظة من تنظيم الدولة وحتى الآن، وذلك من خلال توافد أبناء المحافظة إلى إيران بذريعتي التدريب والسياحة».

**وبالتعاون مع السلطات الرسمية في المحافظة**، فإن إيران توجه دعوات إلى أبناء معظم العشائر السنية في المحافظة وأبرزها عشيرة الجبور، لزيارة إيران بدعوى السياحة، وتوفر لهم مبالغ مالية أيضا، ومن ثم تحث العشائر على تدريب أبنائها في إيران، وفقا للمصادر.

## جدوى تصنيف الحرس الثوري تنظيما إرهابيا

**د. محمد السلمي – الوطن السعودية ٢٠١٧/٢/١٥**

**تناول مختلف وسائل الإعلام مؤخرا بالحديث**، مشروعا أميركيا جديدا لتصنيف الحرس الثوري الإيراني تنظيما إرهابيا. هذا المسعى الأميركي الجديد من الممكن ألا يخرج عن كونه مجرد توجه جديد للرئيس الأميركي دونالد ترمب الذي لا يخفي عداءه لإيران منذ بدء حملته الانتخابية حتى الآن، توجُّه يقضي بمواجهات صريحة بين الإدارة الأميركية الجديدة والنظام الإيراني.

**ولكن المتأمل للواقع يكتشف أن كل ما حدث ويحدث لا يزال بادرات أوّلية في مرحلة المناوشات الإعلامية بين طهران وواشنطن**، هذه المناوشات التي من المعتاد أن تستغرق وقتا طويلا نسبيّا، وفي كثير من الأحيان تبقى في الإطار الإعلامي. المهم في هذا الصدد أن التوجه الأميركي الجديد، القائم على التصدي للسلوك العدواني الذي ينتهجه النظام الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، في العالم كله، بالإضافة إلى ما تقدّمه إيران من دعم مباشر وغير مباشر للجماعات الإرهابية، وما تقترفه من تغذية للطائفية، إذا كان موجودا وحقيقيا، وأدّى بالفعل إلى تصنيف الحرس الثوري تنظيما إرهابيا، فإنه إذا ظل حبرًا على ورق، دون اتخاذ خطوات حقيقية ورادعة، فقد لا يكون سببا في أي تغير لتوجهات نظام الملالي.

**والأمر ليس بدعا ولا ظنّا**، فالتاريخ يثبت لنا أن القصة مكررة بحذافيرها، وربما مع نفس الأطراف، فقط مع اختلاف الأسماء، فحزب الله اللبناني، وتحديدا جناحه العسكري، صُنّف تنظيما إرهابيا، إذ صنفت الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي الحزب، وكذلك اتخذ مجلس التعاون الخليجي في مارس ٢٠١٦ قرارا بتصنيف ميليشيات حزب الله بقادتها وفصائلها والتنظيمات التابعة لها والمنبثقة عنها، منظمة إرهابية، وهو القرار الذي أيده وزراء الداخلية العرب، ولكن على الرغم من هذا نجد حزبا يصول ويجول في لبنان وسورية، ويكبر حجمه وتتسع رقعته في العراق وغيرها، فما فائدة مثل هذا التصنيف إذا لم يحظ بتطبيق فعلي وإجراءات مناسبة تحدّ من مخاطر الكيان المصنف إرهابيا؟

**والشرط الأساسي لاتخاذ خطوات جادة وحقيقية في هذا الصدد هو أن تكون الإدارة**

الأميركية التي تُبدِي العداء للنظام الإيراني، أن تكون جادة في التصدي لسلوك الحرس الثوري، عازمة على استئصال خطره من الجذور، فإذا كان لديها هذا العزم فإن عليها أن تتتبّع أذرع هذا التنظيم من أجل محاصرتها وتضييق الخناق عليها حتى يصيبها الإجهاد وتستنزف مواردها فيقل خطرها حتى ينتهي.

**وللحرس الثوري الإيراني أربع أذرع رئيسية:**

**الذراع الأولى هي الذراع العسكرية**، مع كل ما يرتبط بها من ميليشيات ومرتزقة مجلوبة من باكستان وأفغانستان، وأُنفِق عليها ملايين الدولارات لتجهيزها وتسليحها، ثم نشرت في عدة دول في المنطقة، مثل العراق وسورية.

**أما الذراع الثانية فهي الذراع الاقتصادية للحرس**، وتضم ما للحرس الثوري من استثمارات ضخمة حول العالم، ويمكن للإدارة الأميركية أن تتتبع عناصر هذه الذراع الذين يظهرون في هيئة مدنية، ثم تضعهم على قوائم المطلوبين، بما يقيّد حركتهم ويهدد استثماراتهم ويغلق صنبور الأموال الذي يصب في حوض الحرس الثوري، بما ينعكس اقتصاديا بالسلب على قادة الحرس الثوري ورموز النظام الإيراني، وقبل هذا وبعده على تسليح الحرس الثوري والمرتزقة التابعين له.

**أما الذراع الثالثة من أذرع الحرس الثوري التي ينبغي للإدارة الأميركية قطعها من منبتها**، فهي النشاط الأيديولوجي لهذا التنظيم، وهذا النشاط ينشط عن طريق ما يسمى «المراكز الثقافية» التي تنشئها إيران في عدد كبير من الدول، وفي الجامعات الخاصة التي يبنيها النظام الإيراني لنشر أفكاره وبثّها لتطويع العقول لتقبّل نظام الملالي وولاية الفقيه، كما أن هذه المراكز أدوات فعالة كأداة لزرع خلايا جاسوسية في الدول.

**أما الذراع الرابعة والأخيرة التابعة للحرس الثوري فهي المؤسسات «الخيرية»**، وهي مؤسسات يزعم النظام الإيراني أنها مؤسسات خيرية تهتم بالعمل الإنساني، إلا أن الواقع يقول إنها توفر غطاء اجتماعيا لما يمارسه الحرس الثوري من خلالها من نشاطات تجنيد لأعضائها، وتوغّل في المجتمعات المختلفة في دول المنطقة والعالم. فإذا كانت الإدارة الأميركية، والرئيس الأميركي دونالد ترمب، جادَّين في حملة العداء المعلنة ضد النظام الإيراني، فإن هذا العداء لن يكون له أثر، لا على المدى القريب ولا على المدى البعيد، ما لم يترجم إلى إجراءات حازمة وحاسمة، من شأنها بتر أذرع الحرس الثوري الأربع، لتجفيف منابعه الاقتصادية التي تُمدّه بالمال لشراء وتطوير السلاح والإنفاق على ميليشياته الإرهابية، وإعلان أعضائه قادة وجنودا إرهابيين، إيرانيين كانوا أو غير إيرانيين، ليستشعروا الخطر والتهديد الحقيقي، خصوصا مع ما سيتعرض له التنظيم من أزمة اقتصادية، بالإضافة إلى التعاون مع الدول المختلفة التي تنشط فيها المؤسسات «الخيرية» و«الجامعات» التابعة للحرس الثوري، لفرض رقابة صارمة عليها على أقل تقدير، أو إغلاقها إذا أمكن ولزم الأمر، لمنع نشر أيديولوجيا الحرس الثوري والنظام الإيراني في هذه الأماكن. ودون اتخاذ هذه الخطوات فإن تصنيف الحرس الثوري تنظيما إرهابيا، سواء نُفّذ أو لم ينفَّذ، سيظل - كما قلنا- حبرا على ورق.

# رؤية تركيا لأهمية تحرير "الباب" لصالح السوريين

**محمد زاهد غول - صحيفة القدس العربي ٢٠١٧/٢/١٨**

**من ضرورات فهم المعارك والحروب العسكرية فهم المسارات السياسية التي تصاحبها**، سواء كانت قبلها أو بعدها، والأهم في الغالب ما يتبعها من أحداث ومسارات سياسية، تتخذ من المعارك العسكرية وسيلة لتحقيقها.

**وتركيا بدعمها لـ «الجيش السوري الحر» بوصفه الفصيل العسكري الوطني الأكبر لقوات المعارضة في شمال سوريا** تسعى لتحقيق أهداف مشتركة، وفي مقدمها تأمين المناطق العربية لسكانها الأصليين، لمنع احتلالها من الأحزاب الانفصالية، أو لتحريرها منهم إن كانوا قد احتلوها بذرائع كاذبة ودعم خارجي.

**ففي حين غفلة محلياً**، ومدروسة دولياً من أمريكا وإيران وبشار الأسد ونوري المالكي ظهر تنظيم «الدولة» في العراق وسوريا واستولى على معظم الأراضي العراقية والسورية، في مشهد عسكري غير صادق ولا بريء، مما أضطر وزير الخارجية الأمريكي جون كيري إلى اتهام نوري المالكي بأنه هو المسؤول عن تسليم الموصل لتنظيم «الدولة»، وكذلك تعرف المخابرات الدولية أن بشار الأسد على صلة مع بعض قادة تنظيم «الدولة» قبل أن يطلق سراحهم من سجونه وبعدها. أما دونالد ترامب الرئيس الأمريكي فقد اتهم سلفه باراك أوباما بتأسيس تنظيم «الدولة» أو«داعش»، لأن إدارته هي المشرفة على التسهيلات التي قدمها المالكي وبشار للتنظيم، الذي من مستودعات الأسلحة والعربات المدرعة والذخيرة الكبيرة في سوريا والعراق معاً، فقد ورث التنظيم من المالكي وحده عتاداً وأسلحة وذخائر أربعة فرق عسكرية انسحبت من الموصل وسلمتها للتنظيم.

**لذا كان من الواجب في ذلك الوقت تحليل أهداف هذه الدول من تسهيل تأسيس «الدولة».** لكن شدة الأحداث واللغط الدولي الذي صنعته إدارة أوباما من مؤتمرات في جدة وباريس وغيرها لتشكيل تحالف دولي لمحاربة «الدولة » كما وصفها بيان مؤتمر باريس في ١٥ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٤ وتشكيل تحالف من ستين دولة صرف الأنظار عن الأسئلة المهمة، ولكن تركيا رفضت المشاركة في الأعمال العسكرية للتحالف لمحاربة التنظيم حتى تُبين أمريكا خطتها وأهدافها من تشكيل هذا التحالف وطبيعة عملياته العسكرية، لكن أمريكا رفضت ذلك، لأنها تريد إدارة المعركة لسنوات قبل أن تعمل على تصفية هذه الدولة المزعومة، مع استغلال أعمالها المشبوهة لربط تهمة الإرهاب بالإسلام وليس بالتنظيم المتمسح باسم الإسلام فقط.

**وبقيت تركيا لأكثر من سنة وهي ترفض المشاركة في العمليات العسكرية للتحالف الدولي ضد «الدولة» في سوريا والعراق**، ولكن أمريكا وبعد فشلها في توريط تركيا بهذه الحرب المجهولة، وفشلها في توريط الفصائل السورية المعتدلة في أن تدخل في قتال مميت مع هذا التنظيم، لاقتناعها بأنه أداة بيد الغير، وبالتالي يمكن استغلاله في معارك مع كل الأطراف لمجرد القتال وتحقيق المصالح الدولية فقط.

## ظهور تنظيم «الدولة» واستهداف المناطق السنية

هكذا بقيت جبهات سوريا والعراق مشتعلة لسنوات من بعد ظهور» الدولة» وستبقى كذلك، لأن من أهداف تأسيسه تدمير البنية التحتية في العراق وسوريا، وبالأخص الأماكن التي توصف

ديمغرافيا بالمناطق السنية، فتم تدمير كل مدن السنة في العراق، والآن يتم تدمير الموصل على مرأى العالم بحجة تحريرها ممن يسمى بـ«داعش»، بينما عملت أمريكا بحجة تطهيرها من التنظيم على محاولة تنفيذ مشروع التقسيم بإعطاء المدن العربية إلى تنظيمات إنفصالية كردية طامعة في تكوين كيان سياسي خاص بها.

والخشية أن تبقى أمريكا وحتى بعد أوباما متبنية لهذه الاستراتيجية القديمة في تقسيم سوريا، ولكن بطريقة مختلفة، ليس بفرضه بالقوة العسكرية، بل ستجعل منه خلاصا يطالب به الشعب السوري السني والعلوي والدرزي والكردي والعربي والتركماني، ولذلك كان لا بد من إنقاذ ما يمكن إنقاذه طالما أن إيران وروسيا وأمريكا متفقون على تقاسم المصالح في سوريا بتقسيمها على أتباعهم، فالصراع الآن على المدن ومن يأخذها تحت سلطته قبل أن تفرض أمريكا وروسيا والأطراف المشاركة في الصراع السوري وقف إطلاق نار ملزم أولاً، وتحت طائلة العقوبة والحساب عند مخالفته ثانيا.

لقد استغلت أمريكا حاجة العرب السنة في العراق وسوريا إلى الحفاظ على ذاتهم سياسيا وعسكريا، ودفعت بهم إلى المشاركة في العملية السياسية في العراق بحسب دستور بريمر، ولكنهم لم يحققوا شيئا من النفوذ السياسي ولا العسكري ولا المالي، وتم تكرار الأمر نفسه بهم في سوريا قبل أن يأتي دستور روسيا الذي وزعته في مؤتمر أستانة الأول على استحياء، فكانت ردود أفعال السنة انفعالية، فتشتت قواهم وانتماءاتهم وفصائلهم السياسية والعسكرية، وفوق ذلك أخطأ كثير منهم بوثوقهم في الوعود الدولية الكاذبة بأن المؤتمرات السياسية في جنيف أو فيينا أو أستانة قد تأتيهم بالحل السياسي، بينما هم يساقون إلى الاستسلام والتقسيم، ولذلك لم يكن أمام تركيا إلا أن تدعم «الجيش السوري الحر» باسترداد أراضيه ومدنه وقراه وأريافه من أيدي المحتلين لها، سواء كانوا أحزاباً انفصالية كردية، أو من تنظيم «الدولة».

لقد حاولت تركيا ان تسترد هذه المدن من «الدولة» دون قتال ودون قتل لأن في مدينة الباب وحدها مائة ألف من المواطنين المدنيين، وتركيا حريصة على أرواح الأبرياء. وقد انسحب تنظيم «الدولة» من مواقع وأُخرج من أخرى بالقوة المحدودة ولكنهم رفضوا في غيرها، فكان لا بد من استعمال القوة التي يملكها «الجيش السوري الحر»، ولأن بقاء تنظيم «الدولة» في هذه المدن والأرياف لن يوقف القتال في سوريا، بل سيجعلها سببا لمواصلة كل ألوان العدوان الروسي والأمريكي والإيراني والكردي، الذي يواصل تدميره لسوريا، بحجة تحريرها من «الدولة»، بينما سيطرة الجيش السوري الحر عليها يعني امتلاكها من قبل أهلها أولاً، وهو ما يحقق للشعب السوري مناطق آمنة يلجأ إليها من أمكان الاقتتال والصراع.

## لماذا تأخرت تركيا في دخول الباب؟

لقد تأخرت تركيا في دخول الباب لعدة أشهر من موعدها المرسوم لأنها لا تريد أن يكون هناك عدد كبير من الضحايا المدنيين ومن «الجيش السوري الحر» ولا من الجنود الأتراك الذين يقدمون الدعم لـ«الجيش السوري الحر»، لكن ما أخر ذلك ليس «الدولة» وحده وإنما محاولة إيران عرقلة مسار مؤتمر أستانة، ومحاولة بشار الأسد مقايضة خروج «الدولة» لإدخال قواته فيها بأوامرإيرانية، ومقابل إفساح المجال لقوات «الدولة» في أماكن أخرى، فهو يريد الباب للمفاوضات السياسية والمساومة على مواقف أخرى، بينما «الجيش السوري الحر»

أقدر على دخولها واستردادها، فقال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يوم الأحد ١٢ من الشهر الحالي وهو يغادر تركيا إلى البحرين: «إنّ طرد تنظيم «داعش» الإرهابي من مدينة الباب بريف حلب الشرقي، بات مسألة وقت لا أكثر، وإن قوات الجيش السوري الحر المدعومة من قِبل تركيا، يمكنها إعلان السيطرة على المدينة في أي وقت». وأوضح « أنّ قوات «الجيش السوري الحر» وقوات المهام الخاصة التركية، دخلتا مركز مدينة الباب، وأنّ عناصر «داعش» الإرهابية بدأت بإخلاء مواقعها والانسحاب إلى خارج المدينة».

لقد حاولت إيران عرقلة عملية «درع الفرات» باستهداف ثلاثة جنود أتراك بتاريخ ٢٤ تشرين ثاني/نوفمبر ٢٠١٦، وهاهي روسيا تحاول عرقلة العملية في مدينة الباب أيضاً باستهداف مقاتلة روسية لموقع الجنود الأتراك قبل أيام فقتلت ثلاثة وجرحت أحد عشر.قالت روسيا في ردها الرسمي» أن القصف كان عن طريق الخطأ»، ولكن ليس مستبعداً أن تكون قد اعتمدت في إحداثياتها على جيش الأسد. وقد رد أردوغان عن قتل الجنود الأتراك بالقول: «إن رئاسة هيئة الأركان التركية نشرت معلومات كافية حول هذا الموضوع، وإن ما دار من حوار بيني وبين نظيري الروسي فلاديمير بوتين، يلخص حقيقة هذه الحادثة»، دون أن يذكر تفاصيل تلك المحادثة. ولكن مواصلة تركيا التقدم في الباب يعني أن روسيا تتفهم الأهداف التركية، بحق الشعب السوري تطهير مدنه من الأجانب، ورداً على سؤال حول ما إذا كانت عملية «درع الفرات» ستنتهي بعد السيطرة على مدينة الباب، أجاب أردوغان: « إنّ العملية لن تتوقف عقب تحريرالمدينة المذكورة من «داعش»، وأنّ الهدف الرئيسي لتركيا، هو تطهير كافة المنطقة من عناصر التنظيم، وتعلمون أنّ المعقل الرئيسي للتنظيم، محافظة الرقة الشمالية، فعندما يتم تطهير الرقة من هؤلاء الإرهابيين، حينها يمكننا القول بأنّ شمال سوريا خلت من «داعش»».

وتركيا تعلم أن حسم الموضوع في الباب يحتاج إلى دعم من قوات التحالف، ولكن أمريكا لم تلبي الدعوة التركية حتى الآن، وتراوغ في مسألة الباب وتحرير الرقة، بل عندما حاصر «الجيش السوري الحر» مدينة الباب بدأت أمريكا تتلكأ في تحرير الرقة وتؤجلها، وربما تعمل لإبقائها مع تنظيم «الدولة» لاستقبال الفارين من الموصل، بدليل عدم استهداف قوافلهم التي تدخل سوريا من العراق، وكذلك لا تمانع تقديم تنظيم «الدولة» الدعم لقواته في الباب من الرقة، وكأنها تعاكس الخطة التركية لتحرير الباب.كما أن ميليشيات إيران والأسد يواصلون خرق الهدنة لعرقلة التفاهم التركي الروسي، وهذا لا يتم إلا بالتفاهم مع أمريكا، لأن أمريكا لم تقبل خروج الرعاية للحل السياسي إلى أستانة بديلا عن جنيف، وعملت من خلال إيران والأسد وبعض الدول العربية إلى إعادة المفاوضات إلى جنيف، وجعل الروس طرفا شريكا وليس راعياً للمؤتمر.

لقد استطاعت تركيا من خلال دعم «الجيش السوري الحر» تحرير بعض مدنه وهو يواصل تحرير الباقي، وتسعى تركيا من خلال مطالبتها بالمنطقة الآمنة جعل هذه الأراضي التي يسيطر عليها «السوري الحر» أولى المناطق الآمنة، فتركيا اضطرت إلى أن تكون في المعركة لتكون فاعلة على طاولة المفاوضات كما خططت الحكومة التركية، سواء في سوريا أو في العراق، فمستقبل سوريا والعراق يمس الأمن القومي التركي مباشرة، ولذلك أجاب أردوغان على السؤال السابق إن «درع الفرات» سوف يستمر بعد الباب إلى منبج، حيث لا ذريعة أن تبقى تحت سيطرة قوات «حماية الشعب الكردية» بعد تحريرها من «الدولة»، فـ«الجيش السوري» الحر أولى بها، لأن منبج مدينة

عربية وليست كردية، هذا إذا تم قراءة الجغرافيا السورية قراءة قومية. إن تركيا تأمل أن تكون الادارة الأمريكية الجديدة جادة في إقامة مناطق آمنة لمساعدة الشعب السوري من القتل والاضطهاد الطائفي والعرقي، فتركيا لا تقاتل بالنيابة عن الشعب السوري أولاً، ولا تدعم «الجيش السوري الحر» إلا من أجل أن يجد الشعب السوري منطقة آمنة، تأمل ان تجد مشاركة أمريكية لرؤيتها، ولا خلاف على أن تأخير انسحاب «الدولة» من الباب قد اعاق تحريرها، ولكن السؤال من يطالب «الدولة» بعدم الانسحاب؟ ومحاولة الأسد بالسيطرة على الباب تعطي جواباً أولياً، ولكن السؤال التالي من يطلب من الأسد المزاحمة على السيطرة على الباب؟ وهل الهدف مواجهة الجيش السوري فيها أم منع المنطقة الآمنة، التي يدرك الأسد أنها ستكون ضد أحلامه باستعادة السيطرة على شمال سوريا.

لقد أعلنت تركيا أنها على استعداد للمشاركة الدولية في تحرير الرقة، ولكنها لا تقبل ان يكون تحريرها بمشاركة قوات سوريا أو أي ميليشيا انفصالية، كما لا ترى بأن تقدم محاربة «الدولة» على إسقاط الأسد في الرؤية الأمريكية الجديدة قد لا تكون صحيحة، لأن الأسد هو المتسبب و«الدولة» هي النتيجة، الأسد هو الأصل وتنظيم «الدولة» هو الفرع، فقطع الفرع لا يحل المشكلة، ولو قطع الأصل يزول معه الفرع حتماً، بانتهاء أسباب وجوده، وتركيا قادرة على تشكيل قوة عسكرية تقدر بعشرة آلاف مواطن سوري لتحرير الرقة، وحتى يكونوا حراس المنطقة الآمنة على الأرض، بينما أمريكا لم تعلن عن موافقتها على الرؤية التركية.

لم يخف الرئيس التركي أردوغان خططه للمنطقة الآمنة عن الرئيس الأمريكي ترامب، ولا عن مدير المخابرات الأمريكية بومبيو عند زيارته لتركيا يوم ١٢ من الشهر الحالي، ولكن أمريكا حتى الآن تشارك تركيا بالموافقة على المنطقة الآمنة دون إعلان موقفها من مشاركة «قوات سوريا الديمقراطية» أولا، فإذا كان ترامب جادا بمعالجة المشاكل الأمنية في الشرق الأوسط فعليه أن يتجاوب مع مطالب أهلها الرئيسيين، وعدم وضع خطط مشتركة مع المحتلين الأجانب كما فعل أوباما مع إيران، ولا السعي لتغيير التقسيمات السياسية الحالية في سوريا والعراق ولا غيرها، وإلا فإن الاستقرار الأمني لن يجد سبيله لعقود قادمة.كما أن تقسيم سوريا والعراق سيخدم في النهاية أهداف إيران في إيجاد كيانات طائفية تابعة لها، كما أن محاولة حل المشكلة السورية ببقاء الأسد سيكون مكافأة أخرى لإيران من ترامب في اللحظة التي يدعي أنه سيمزق الاتفاق النووي معها، وأن سياسته نحو إيران ستكون مختلفة عن سلفه أوباما.

## الدستور الروسي في سوريا ونموذج الشيشان

**حسن أبو هنية – عربي ٢١ ٢٠١٧/١/٢٩**

**عندما شرعت أمريكا بغزو العراق في ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٣ على خلفية «حرب الإرهاب»** كانت روسيا في نفس الوقت تجري استفتاء على الدستور التي قدمته إلى الشيشان وكانت نتيجته محسومة سلفا بالموافقة. حينها قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين: إن مسالة وحدة أراضي روسيا، وبمعنى آخر مسألة استقلال الشيشان، قد أقفلت بعد الاستفتاء الذي عبر الشيشانيون من خلاله عن خيارهم السلام على حد قوله، واليوم تقدم روسيا مسودة دستور جديد لسوريا بالتزامن مع عودة أمريكا إلى العراق مع تصاعد حملة «الحرب على

الإرهاب». وإذا كانت روسيا بوتين أنجزت مهمتها في الشيشان مع تصاعد اليمين المحافظ لأمريكا جورج بوش فإن روسيا بوتين تسعى لإنهاء مهمتها في سوريا مع تنامي اليمين الشعبوي لأمريكا دونالد ترامب.

**لا يختلف الدستور الروسي المقترح في سوريا جوهريا عن الدستور الروسي المنجز في الشيشان**، فكلاهما يعيد تعريف هوية الدولة بما يضمن هيمنة روسية مطلقة، حيث تقترح المسودة الروسية منح رئيس الجمهورية صلاحية إعلان الاستفتاء حول المصالح العليا للبلاد وإزالة تعابير تشير إلى عربية الجمهورية السورية وإحلال اسم «الجمهورية السورية» وجعل تغيير حدود الدولة ممكنا عبر الاستفتاء العام، وإزالة أي مادة تشير إلى هوية الدولة الإسلامية تحت ذريعة حماية الأقليات، ويأتي مشروع الدستور المقترح بعد توقيع اتفاقيات بعيدة المدى تضمن تفرد روسيا بسوريا وفي سياق نظرية سوريا المفيدة بعد تدمير حلب والسيطرة عليها كما حدث مع تدمير غروزني كمدينتين شكلتا رمزا للمقاومة والمعارضة في كلا البلدين.

**في سياق استغلال واستثمار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الحملة الأمريكية في «الحرب على الإرهاب»** وهي حروب وضعت وصممت لتبرير الغزو والاحتلال والهيمنة والسيطرة تتبادل القوى الكبرى المصالح والمنافع والأدوار حيث يتحول «الإرهاب» إلى مسألة ذاتية غير موضوعية قابلة للتفسير والتأويل، فعندما غزت أمريكا العراق قايضت العراق بالشيشان وبعد أن كانت أمريكا ترفض وصف المعارضة الشيشانية بالإرهاب وتعتبرها حركة مقاومة مشروعة بدلت موقفها وأدرجت تلك المعارضة على قائمتها الإرهابية، وشرّعت الأبواب لتنكيل روسيا بالمعارضة الشيشانية المطالبة بالاستقلال.

**تحاول روسيا أن تستنسخ الحل الشيشاني في سوريا على وقع «حرب الإرهاب»** رغم الفروقات المعتبرة بين البلدين وصعوبة نجاح ذات الخطوات والتكتيكات في إطار الإستراتيجية الروسية التي تهدف إلى إثبات قدرة روسيا على التدخل العسكري في جوارها البعيد في الشرق الأوسط إلى جانب قدرتها على التدخل العسكري في جوارها القريب في القوقاز وآسيا الوسطى، إذ تساعد هذه التدخلات روسيا على خلق الأوهام بأنها لا تزال قوة عالمية قادرة على فرض أجندتها من خلال استثمار مواردها العسكرية والدبلوماسية.

**جاء تدخل روسيا في سوريا في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥** بعد لقاء أوباما بوتين على هامش اجتماعات الأمم المتحدة وتفاهمات وزراء خارجية البلدين كيري لافروف، حيث تبدلت التوجهات والاتجاهات بمزيج من العمل العسكري والدبلوماسي حين جلب الرئيس الأسد إلى موسكو بزيارة مفاجئة في منتصف تشرين الأول/أكتوبر وفي وقت لاحق من الشهر نفسه التقى وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف مع وزير الخارجية الأمريكية جون كيري، فضلاً عن وزراء خارجية المملكة العربية السعودية والأردن وتركيا وإيران في فيينا. وبعد ذلك اجتمع ممثلون عن ١٩ دولة في نفس المدينة، بناء على طلب روسيا، لمناقشة حل سياسي لمستقبل سوريا، وأعقب ذلك مجموعة أخرى من المحادثات في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر مما أدى إلى صفقة طَموحة لم تكتمل آنذاك وباتت ناجزة في أستانة.

**على خطى الشيشان عمل بوتين في سوريا عبر محطات عديدة وآخرها الأستانة على حشد تأييد دولي** للحصول على دعم وتأييد الإستراتيجية الروسية التي تهدف إلى تحويل الثورة السورية من أزمة إلى عملية لمكافحة الإرهاب، فاتفاق ١٤

تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٥ كان عبارة عن «خطة سلام» من ثماني نقاط وزعتها روسيا في الأمم المتحدة قبل المحادثات، وتنطوي على صياغة دستور جديد مع مراعاة المدخلات التي ستقدمها جماعات المعارضة وتنظيم انتخابات رئاسية بحلول عام ٢٠١٧، الأمر الذي سوف يقدم في مؤتمر أستانة في ٢٣ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

**في محطة أستانة تموضعت الثورة السورية في سياق الإستراتيجية الروسية للحرب على الإرهاب**، وهذه المرة لم تقتصر على مشاركة دولية بل قوى كانت تعد ثورية حيث تكون وفد المعارضة السورية من ممثلين عن ١٤ فصيلاً عسكرياً هي: «فيلق الشام» و«جيش العزة» و«جيش الإسلام» و«صقور الشام» و«جيش إدلب الحر» و«جيش النصر» و«شهداء الإسلام» و«الفرقة الساحلية الأولى» و«صقور الشام» و«الجبهة الشامية» و«تجمع فاستقم» و«لواء السلطان مراد» و«الجبهة الشامية» و«الجبهة الجنوبية» (تجمع فصائل الجيش الحر في الجنوب السوري)، إلى جانب مستشار سياسي وحقوق، وقد جاء البيان الختامي لأستانة ليؤكد على أن «تعيد الوفود المشاركة تأكيد إصرار الجميع على القتال ضد تنظيم «داعش» و«النصرة» على أن يجري فصل مجموعات المعارضة المسلحة منها.

**على خطى الشيشان تمضي سوريا فالإستراتيجية الروسية لبوتين تمكنت من تحويل المقاومة والثورة إلى تكتيكات «حرب الإرهاب»** حيث تصبح الشيشان نموذجا ناجحا في تحويل الثورة إلى حرب على الإرهاب، كما صرح رئيس الوزراء ديمتري ميدفيديف في وقت سابق أن الشيشان تشكل «نموذجا فريدا في تاريخ مكافحة الإرهاب»، وهو نموذج استنسخ في سوريا واستند في الشيشان على قصف وحشي دون تمييز دمرت فيه غروزني بشكل عشوائي أسفر عن مقتل الآلاف من المدنيين وتم إجبار الآلاف على النزوح عن ديارهم وبعدها بدأت روسيا استهداف المعتدلين.

**النموذج الشيشاني الناجح في روسي أفضى إلى تبعية الشيشان الكاملة لروسيا**، عندما أشرف الكرملين على الانتقال السياسي في غروزني وتم صياغة دستور جديد وتعيين أسرة قاديروف الديكتاتورية في السلطة عن طريق انتخابات رئاسية صورية. لقي أحمد قاديروف، أول قائد اختاره بوتين، مصرعه بقنبلة عام ٢٠٠٤. وحلّ محله ابنه رمضان قاديروف الذي لا يمل من القول بأن رئيس الشيشان وجنود الشيشان جميعهم مستعدون للتضحية من أجل الرئيس بوتين، ومن أجل الدفاع عن روسيا.

**بالنسبة لروسيا لا فرق بين قاديروف أو بشاروف وحتى علوشوف فالأهم هو تثبيت النفوذ الروسي في سوريا كما الشيشان بوجود نماذج ترتدي زي حكماء مكافحة الإرهاب على الطريقة الروسية**، فالرئيس الشيشاني رمضان قديروف دعا إلى تطبيق النموذج الروسي في الصراع السوري والاقتداء بحملة مكافحة الإرهاب في الشيشان ونصح المعارضة السورية بالتوحد مع جيش الرئيس السوري بشار الأسد، في المعركة المشتركة ضد الإرهاب، وكتب على صفحته على إنستغرام، مذكراً أنه في جمهورية الشيشان، وخلال فترة قصيرة نسبيا من الزمن تم القضاء بالكامل على الإرهابيين الدوليين من ٥١ بلدا، وقال قديروف «لا يوجد أي بلد آخر، باستثناء روسيا، التي يمكن أن تقضي على بؤر الإرهاب، الذي يهدد سلامة البلاد. وهنا كان يجري نفس الشيء الذي يجري في سوريا».

ما قامت به روسيا في الشيشان يجري على قدم وساق في سوريا من خلال إيجاد معارضة موالية بعد تطهير المعتدلين ثم المتطرفين، فقد عمدت روسيا في الشيشان إلى إستراتاجية عسكرية ــ أمنية تقوم على تصفية القيادات الشيشانية جسديا، بدءا بـ«جوهر دوداييف»، ومروراً بـ«زيلمخان ينـدرباييف»، ووصولا إلى «مسخادوف»، وامتدت إلى القيادات الجهادية كشامل باسييف، أو من المقاتلين الأجانب أمثال: خطاب، وأبي الوليد الغامدي، وأبي حفص الأردني وغيرهم، والبحث عن قاديروف سوري يتماهى مع متطلبات مكافحة الإرهاب الروسية التي تستند إلى رفع كفاءة من الأجهزة الأمنية في الحرب على ما يسمى الإرهاب.

خلاصة القول أن روسيا تعمل على تطبيق نموذج الشيشان في «الحرب على الإرهاب» على سوريا لترسيخ مكانتها كقوة عالمية قادرة على فرض نفوذها العسكري والسياسي في جوارها القريب والبعيد وهي تتبع إستراتيجية أقرت مرتين في عهد بوتين تتعلق بالأمن القومي ومحاربة الإرهاب تعتمد على استخدام مواردها العسكرية والدبلوماسية لحشد تأييد دولي وتستند إلى تكتيكات تعتمد على خلط الاعتدال بالتطرف في الصراعات واستدخال قوى محلية طموحة تتدرج من اعتبارات الثورة والمقاومة إلى مقتضيات مكافحة التمرد وحرب الإرهاب، ورغم الفوارق بين حالة الشيشان وسوريا إلا أن مسارات الصراع السوري وسلوك المعارضة لا يشي بنتائج مغايرة فقد توقفت جبهات القتال مع النظام ومقاومة الاحتلال واشتعلت المعارك بين الفصائل وفق مقتضيات حرب الإرهاب.

## عمالة بين الأمس واليوم – عمالة السيد شبر ودناءة الشيخ علي سلمان

**عبد الرحمن السقاف – منتديات مملكة البحرين ٢٠١٧/٢/٢٢**

تتنوع العمالة، وتتشكل الخسة، وتختلف الدناءة، غير أنّ أشد أنواع الدناءة، وأشد حالات الخسة أن يبيع الإنسان وطنه، ويرتمي في احضان العدو، ظاناً منه أنه صديق حبيب!

١٤ فبراير ٢٠١١م، وما حصل فيه من انقلاب فاشل مظلم! من حسنات هذا الانقلاب أنه كشف كثيراً من الوجوه المزيفة، والتي تدّعي حب الوطن! من الذين كشفت عمالتهم مبكراً، وبانت نواياه ومخططاته، الشيخ علي سلمان. أراد أن تكون بلاده مرتعاً للفوضى والفساد.. وهاله وأغضبه أن تنعم بلاده بالأمن والاستقرار.

الشيخ علي سلمان يدّعي العروبة والمواطنة، غير أن قلبه وهواه يميل لناحية الشرق، وتحديداً للفارسي الصفوي. فيرى في إيران الصفوية الملاذ والخلاص. كان يُخفيه في صدره، حتى انطقه الله به على حين غره.

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ
وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ

دخل درع الجزيرة لإعادة الأمن والاستقرار فما كان من الشيخ علي سلمان إلا أن يُعلنها صارخاً مذهولاً وضارباً بيده على الطاولة: «سنستنجد بإيران». كلمة تحمل خساسة ودناءة ببيع الوطن بثمن زهيد لعدو صفوي!

لم استغرب حقيقة هذا الموقف من العميل الصفوي (علي سلمان)، فالتاريخ يُعيد نفسه، وله في ذلك سابقة، سبقه بها السيد شبر الستري!

**يقـول علـي الـبلادي البحرانـي في كتابـه:** (أنـوار البـدرين)، صـفحة (٢٤٢): « العـالم المحـدث الأجل السيد شبر ابن السيد علي ابن السيد مشعل الستري البحراني الغريفي كان رحمه الله تعالى من العلماء المحدثين والفقهاء المتبحرين... وكان السيد شبر المذكور في آخر عمره أخذته الغيرة الإيمانية على ما جرى على أهل البحرين من الحكام المتغلبين عليها من الظلم والعدوان وغصبهم الأموال وتشتتهم في كل مكان وأداه نظره واجتهاده وإن لم يُوافقه عليه أكثر علماء زمانه إلى جمع العساكر من أهل البحرين والقطيف الساكنين هناك لأخذ بلاد البحرين من أيدي أولئك المتغلبين الظالمين فاقتضى نظره الشريف أن يستند أولاً إلى سلطان العجم وهو (ناصر الدين شاه القاجاري)، ليكون له ظهراً ولكون البحرين ملكاً للعجم وتغلب عليها أولئك فلما سمع بذلك المتغلبون عليها هنالك أرسلوا إلى حاكم شيراز بالهدايا الكثيرة والبراطيل الوفيرة لكسر سورة ذلك السيد وسافر ذلك السيد إلى شيراز فلم يجتمع به ذلك الحاكم ولم ينظر إلى ما جاء إليه ذلك العالم فبقي في شيراز مقدار أربعة أشهر متكدر الخاطر عادم المعين والناصر إلى أن تُوفي بغصته قبل بلوغ أمنيته ».

**كانت حادثة السيد شبر واستنجاده بالعدو الفارسي الصفوي،** قديمة أكل عليها الدهر وشرب، تقارب عام ١٢٨٥هـ، أي في عهد الشيخ علي بن خليفة بن سلمان رحمه الله، وأعادها (علي سلمان) في عام ١٤٣١هـ، في عهد جلالة الملك حمد بن عيسى ال خليفه حفظه الله، أي بعد (١٤٦ سنة).

**تشابهت الدناءة واتفقت العمالة** بين السيد شبر والشيخ علي سلمان، ولعل جينات الصفوية تنتقل من سابق إلى لاحق!

**وصدق قول الشاعر:**

ففي السماء طيور اسمها بقع

إنَّ الطيور على أشكالها تقع

**ولله الحمد كلا الاثنين** ـ السيد شبر والشيخ علي سلمان ـ غصّا بجريرة عمالتهما، وباءا بخساسة دناءتهما، ورد الله كيدهما في نحرهما، وكانت البشارة العظيمة، أن حفظ الله مملكة البحرين قديماً وحديثاً.

## لماذا على حماس
## الابتعاد عن إيران اليوم وليس غداً؟

**د. علي حسين باكير - عربي ٢١ ٢٠١٧/٢/١١**

**تجري مؤخرًا محاولات لإعادة العلاقة بين حركة حماس وكل من إيران وحزب الله إلى ما كانت عليه سابقًا قبل الثورة السورية،** وتخلق مثل هذه الخطوة حالة جدلية كبيرة لاسيَّما من الناحية الأخلاقية والمبدئية بشكل ينزع القدسية عن القضية الفلسطينية ويجرّدها من اعتباراتها السامية المتعلقة بقضية مقاومة محتل ومستوطن على اعتبار أنّ ما يفعله النظام الإيراني في عدد من الدول العربية لا يقل عما يفعله الصهاينة في فلسطين بل يزيد.

**لكنّني لن أناقش هذا الموضوع هنا،** فسأتركه لمقال آخر، وسأركز عوضًا عن ذلك على الشق السياسي المتعلّق بالجهود الجارية لتوثيق العلاقات بين حماس وإيران وحزب الله والانعكاسات الخطيرة والمدمّرة لمثل هذه الخطوة في هذا التوقيت بالتحديد على حماس، وعلى القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني.

**هناك من يقول:** إنّ حركة حماس قامت خلال السنة الأخيرة بمراجعة نتيجة تراجع المد الثوري والوضع المصري والتحول في ميزان القوّة لصالح إيران وأدواتها في سوريا ولبنان والعراق، وإنّ الجهود المبذولة لتوثيق العلاقة مع إيران نابعة من هذه المراجعة، لكن لا يبدو أنّ مثل هذه الخطوة تأخذ بعين الاعتبار أنّ هناك رئيسًا جديدًا في الولايات المتّحدة الأمريكية، وأنّ هناك سياسات جديدة أيضًا في المنطقة.

**ولأنّه من الصعب بمكان توقّع تحرّكات الرئيس ترامب،** فإن المنطق السليم يفترض أنّ التحوّط من كل ما من شأنه أن يضع الشعب الفلسطيني في موقف أصعب من الموقف الحالي، يجب أن يكون أولويّة لدى حماس. المشهد العام بخصوص العلاقة مع إيران لا يشير حتى هذه اللحظة إلى أنّ هناك أيَّ نوع من أنواع التحوط، بل هناك تأكيد على التقارب مع إيران ومع حزب الله، وهو أمر خطير جدًّا لاسيَّما في هذه المرحلة بالتحديد لعدّة أسباب أهمها:

**أولًا:** سبق للشخصيات الرئيسية في إدارة ترامب - بمن فيهم الرئيس نفسه- أن أدلت بتصريحات تكشف عن فحوى التوجهات المتشددة التي سيتم انتهاجها ضد إيران. خلال الأيام القليلة الماضية تحوّل الجدل الكلامي بين الإدارة وبين إيران إلى فعل، فتمّ فرض العديد من العقوبات على النظام الإيراني. تشير المؤشرات المتوافرة حاليًّا إلى أنّ الاشتباك الأمريكي- الإيراني يسلك مسارًا تصاعديًّا، وهذا ما يفترض أنّ النظام الإيراني سيقوم في مرحلة من المراحل بالرد أيضًا.

لكن وكما علّمنا تاريخ نظام الولي الفقيه وسلوكه، فهو أجبن وأضعف من أن يقوم بالمعركة بنفسه، وإنما يرد باستخدام وكلائه وعملائه ويخوض معركته بهم في ملعب غيره، ومن الغني عن التعريف أنّ الملاعب العربية هي الملاعب المفضّلة للنظام الإيراني، وللساحة الفلسطينية دورها بطبيعة الحال، وقد تكون الساحة المفضلة لإيران في مرحلة من المراحل القادمة، فافتعال حرب هناك سيركّز الأنظار على إسرائيل، وسيصهر الإسلاميين والقومجيين واليساريين في بوتقة واحدة، وسيجيّر الرأي العام لصالح إيران، ولكن من غير الممكن لإيران فعل ذلك ما لم يكن لها مدخل إلى الساحة الفلسطينية.

عودة العلاقة بين حماس وإيران تفتح المجال للأخيرة لكي تستخدم الساحة الفلسطينية في معركتها مع أمريكا و/أو مع إسرائيل، وحتى وإن لم تستخدم إيران حماس نفسها لمثل هذا الغرض، يكفي أنّ مثل هذا الانفتاح سيؤمّن لها الشرعية اللازمة للعب في الملعب الفلسطيني، فضلًا عن إمكانية استخدامها للحركات الأخرى المحسوبة عليها. مثل هذه الخطوة سترتد بالتأكيد على الشعب الفلسطيني وعلى حركة حماس نفسها، وسيدفع هؤلاء الثمن غاليًا في الوقت الذي ستتغنى فيه إيران بـ«دعمها» للمقاومة، بينما تجلس مع الكبار لتتفاوض بهم. ألم يحصل ذلك من قبل بالفعل؟

**ثانيًا:** بغض النظر عما تقوله حماس عن نفسها وعن مدى استقلاليتها في أي علاقة مع إيران، أو عن مدى قدرتها على أن تفرض نفسها لاعبًا موازيًا في الثقل والدور مع دولة بحجم إيران، فإن كثيرين يرون أنّ مثل هذه العلاقة بين حركة وبين دولة، هي علاقة غير متوازنة بطبيعتها وستكون اليد العليا فيها لإيران دومًا، وهو ما سيتيح لملالي طهران استخدام حماس بحكم الأمر الواقع شاءت الحركة أم أبت.

مثل هذا التصور خطير جدًّا خاصّة أن هناك من يؤمن في الغرب بأنّ حماس هي بالفعل جزء من منظومة إيران الإقليمية بما في ذلك الكثير من أقطاب هذه الإدارة الأمريكية الجديدة. تعزيز

العلاقات مع إيران في هذا التوقيت سيعزز بدوره من نظرة هؤلاء، وستكون حجّة إضافية لهم لاستهداف الحركة (إعلاميًّا، سياسيًّا، اقتصاديًّا، وربما عسكريًّا أيضًا). إسرائيل سيكون لها مصلحة أيضًا في التركيز على أنّ حماس تدور بالفعل في فلك إيران إذا ما تحسّنت علاقة الحركة بإيران، ومن غير المفهوم لماذا يجب علينا أن نعطي الإسرائيليين والمتطرفين المعادين لحماس ورقة إضافية في يدهم لدعم مزاعمهم، في حين أن انعكاسات أيّ دعم مزعوم من إيران للحركة يفوق بمراحل ضخمة واقع هذا الدعم!

**ثالثًا:** إسرائيل لها موقعها المميز اليوم في قلب الإدارة الأمريكية وليس كما كان عليه الأمر في عهد أوباما؛ ولذلك فإن القادة الإسرائيليين سيكونون مستعدين لشن حروب مع ضمان حصولهم على الدعم ليس من إدارة ترامب فقط، بل ربما من روسيا أيضًا. وفي مثل هذا الموقف، من الأفضل الابتعاد عن كل ما من شأنه إعطائهم ورقة أو ذريعة لشن حرب ثبت خلال السنوات الماضية أنّهم إذا لم يضطروا لمصلحتهم الخاصة إلى دخولها فإنهم لن يدخلوها.

في المقابل، ليس هناك أدنى شك من أنّ النظام الإيراني سيحرص إذا ما تصاعد اشتباكه مع الإدارة الأمريكية أو مع إسرائيل على فتح جبهة إقليمية، فهذا أمر مفروغ منه ومثبت تاريخيًّا بحكم التجارب الكثيرة التي مررنا بها في المنطقة. فلسطين لن تكون مستثناة من المعادلة الإيرانية، والمشكلة أنّ النظام الإيراني لا يكترث بتاتًا لما سيصيب الناس أو البلاد في مثل هذه المعارك، فهو في نهاية المطاف لا يدفع من جيبه أي شيء. ما تسببت به إيران في لبنان من دمار لاسيَّما في العام ٢٠٠٦ لتحريك ملفها النووي فقط كفيل بإثبات وجهة النظر هذه، فهل ستكون حماس مستعدة لتحمّل مثل هذه التكاليف من أجل إعادة العلاقة مع إيران؟! وهل سيكون الشعب الفلسطيني قادرًا على تحمل مثل هذه المعارك لأهداف لا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بهم أو بفلسطين؟!

**رابعًا:** يجب أن لا ننسى أيضًا أنّ هناك حديثًا متواصلًا عن نيّة إدارة ترامب وضع الإخوان المسلمين على قائمة الإرهاب، وهذا يعني أنّ حماس على الرادار الأمريكي منذ البداية، وأنّه ليس هناك من داعٍ لرفع الخرقة الحمراء أمام الثور الهائج، وأنّ البديل في مثل هذه الأوضاع هو الحرص التام على الحصول على الدعم الكامل للشعوب العربية والإسلامية. وفي هذه النقطة بالتحديد فإنّ العلاقة مع إيران وحزب الله لا تساعد على تحقيق هذا الهدف وإنما تخلق شروخات كبيرة في الواقع العربي والإسلامي الداعم لحماس والذي يعتبر الحاضنة الحقيقيّة لحماس حتى لدى أتباع حماس أنفسهم. لا بدّ من الاعتراف بأنّ هناك شرائح واسعة جدًّا في العالم العربي والإسلامي باتت تنظر إلى النظام الإيراني وتوابعه في المنطقة على أنّه نظام احتلال وتهجير واستيطان قام خلال سنوات قليلة فقط ماديًّا ومعنويًّا بأضعاف ما قام به الصهاينة في فلسطين خلال أكثر من نصف قرن - وهذا ادعاء قابل للبرهان والإثبات أيضًا بطريقة علمية- ، وأنّ جريمة العلاقة بين حركة تحرر إسلامية (حماس) وبين إيران لا تقل عن جريمة علاقة أيّ طرف مع إسرائيل بل تزيد عنها لأنّ أصحاب العلاقة مع إسرائيل لا يدّعون ما تدّعيه حركات التحرر الإسلامية.

**خلاصة القول** وبغض النظر عن الذرائع التي يسوقها البعض لتبرير توثيق علاقة حماس بإيران وأتباعها، ومن منطلق حسابات الربح والخسارة المحضة، إيران لا تقدّم أي شيء بالمجّان، وحتى لو افترضنا جدلًا أنها فعلت ذلك، ليس هناك من أدنى

شك في أن التكاليف الكارثيّة المدمّرة المترتبة على ذلك أكبر من أيّ دعم مزعوم أو موعود من نظام الملالي إلى حماس.

## هل حكام إيران
## دولة «ولاية الفقيه» مسلمون؟؟؟

د. بسام ضويحي – مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية ٢٠١٧/٢/٢٠

إن ما تم تداوله بين الأخوة الكرام حول إيران والتقارب منها أوالتعامل معها أمر غريب وعجيب من وجهة نظري وهو إن دل على شيء فإنما يدل عن غياب الميزان والبوصلة في أن واحدة وبناء عليه أود ان أبين النقاط التالية:

**أولا:** من الناحية الشرعية والاعتقادية فحري بنا أن نتبين عن طريق العلماء الثقات المتخصصين:

هل إيران دولة ولاية الفقيه بما تعتمد عليه من معتقدات ومرتكزات اعتقادية شيعية حول القرآن الكريم الذي بين أيدينا وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن الصحابة الكرام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعن نظرتهم تجاه المسلمين السنة في العراق وسورية واليمن بل المسلمين السنة داخل ايران !!!!!

وبناء على الفتاوى المتعددة من دولة ولاية الفقيه باستحلال دمائهم وأعراضهم وما يجري على أرض الواقع اليوم في سورية والعراق في بلاد المسلمين ؟ ؟ وهل هم يعتبروننا مسلمين أم لا؟؟ حقيقة بناء على معتقداتهم لا تصريحاتهم السياسية والتقية التي يدينون بها فالجواب هنا إخواني جواب شرعي محدد حري ان يكون بعيد عن العواطف والأمزجة.

والجواب أجاب عليه كل العلماء الثقات في الماضي الحاضر المعاصر وأرى ان لا نضيع الوقت باجتهادات غير متخصصة وتبريرات بعيدة عن علوم العقيدة، مرفق رأي العلامة محمد الحسن الددو:

(لعل لبسا حصل لدى بعض الإخوة بين إيران كدولة و نظام معاد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم و مباين للاعتقاد الذي ترك عليه المسلمين من بعده و مجاف للقرآن و السنة اللذان هما أساس هذا الدين و معتمد في مقابل ذلك على الخرافة و الأوهام المناقضة للعقل و الوحي و الفطرة و يحمل روح العداء لهذه الأمة و يتحالف مع أعدائها و يغزو ديارها و يدمر كل ما قدر على تدميره دون مراعاة لإنسانية و لا أخلاق. و بين إيران الشعب الذي ينطق جمهور أفراده بالشهادتين مع ما يقع فيه أكثرهم من ما يناقضهما. فإيران بالمفهوم الأول لا جرم أنها تمثل الكفر كله و العداوة كلها و الإجرام كله. و إيران بالمفهوم الثاني يقال في أفراد الشعب إن الأصل في من نطق بالشهادتين عصم دمه و ماله و عرضه ما لم يعتد و عدم تكفير العوام قبل قيام الحجة عليهم والله يوفقنا و إياكم لكل خير).

**ثانيا:** ما هو المشروع السياسي للدولة الإيرانية دولة ولاية الفقيه ؟ وماهي استراتيجيتهم لتصدير الثورة إلى دول الجوار والدول العربية والإسلامية وفرض معتقدات ولاية الفقيه على شعوب المنطقة بالقوة وإقامة دولتهم وإمبراطوريتهم على أشلائنا وركام بلداننا.

فكما كتب في دستور الدولة الإيرانية وكما وضحه إمامهم الخميني وخامئني و الجنرال الهمداني وكما هو مكتوب في كتاب نظرية أم القرى لمؤلفه جلال لاريجاني الذي هو أخو علي لاريجاني رئيس البرلمان الإيراني والذي يدرس اليوم في جامعات طهران وقد قام بترجمته إلى العربية الدكتور نبيل العتوم من مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية.

وكما يتم اليوم تدريس الطلاب الإيرانين في كتب التربية والتعليم الإيرانية عن صورة العرب الهمج الذين هدموا الإمبراطورية الفارسية !!!!!!

وكما يحدث اليوم بشكل عملي وواقعي في كل من العراق واليمن وسورية من قتل وإيذاء واستباحة للأعراض وذبح وتقتيل للأطفال ودمار يرافقه تصريحات وتأكيدات من خامئني ومن القيادات الدينية والعسكرية في دولة ولاية الفقيه حيث يؤكدون أن حربهم وجهادهم في هذه الدول هو قتال مع الكفار والمشركين أحفاد يزيد ومعاوية ويجب أن يستمر القتل حتى يبلغ عدد القتلى ألف ألف من الكفار من ذرية يزيد ومعاوية ليسرع ويهيء ظهور المهدي المنتظر وللوصول بعدها الى القدس عن طريق حلب فأمل من الأخوة قبل الكلام عن ايران والدفاع عنها أو الهجوم عليها ان يأخذوا بالمنهج العلمي الذي يحترم العقل وبعدها يصدروا أحكامهم واجتهاداتهم الصائبة إن شاء الله.

**هذا من ناحية** أما الناحية الأخرى فإنني أرى أننا أصبحنا أمة وللأسف أمة كلام وتنظير بعيدا عن الواقع ونواميس الكون ولوازم التغيير بل هروبا من الواقع الأليم حيث لا نريد أن نخرج من المستنقع الذي وقعنا فيه.

**فمن الحري بنا** أن نأخذ بأسباب القوة بكل جوانبها ومعانيها بالعمل والسلوك والواقع لا بالكلام فقط والتنظير فما وصلت إليه أمتنا ودولنا من مراتب الضعف والهوان أغرى بنا هرتزل وهنري كامبل وسايكس بيكو وبلفور وبرنارد لويس وبريجينسكي وهنري كسينغر وشاه ايران وخميني وخامئني و قاسمي وبوش وأوباما وترامب!!!

**كيف لا ونحن أمة ضعيفة مشتتة إرتضت اليوم أن تكون ذليلة مستعبدة يعربد في أرجائها** صهيوني لئيم وصليبي حاقد وايراني رافضي خسيس متآمر على أمتنا عبر التاريخ يطعنها من الخلف بخنجره المسموم الحاقد والذي أتمناه من المدافعين عنه أن يذكروا لي معركة واحدة خاضتها ايران لنشر الإسلام في بلد غير مسلم أو أن يذكرولي بلدا غير مسلم فتحه هؤلاء الروافض ؟؟؟

**سنبقى على هذا الحال ما لم ننهض ونأخذ بأسباب القوة كلها** وهي تبدأ من النية الصادقة وإرادة التغيير الذاتية والاعتماد بعد الله على أنفسنا وما نملك من الإمكانيات البشرية والموارد الإقتصادية والرصيد الحضاري من القيم والثقافة ورفض العبودية وإحياء فريضة الجهاد وأخواتها المكملات لها وعندها يحق لنا بل من الضروري أن نبادر الى رسم ومشاركة العالم بمستقبله بل نحن من يرسم التقاطعات في المصالح مع الإيراني و الصليبي ويبادر الى ايجاد العلاقات بأنواعها مع الصديق والعدو.

---

## وداعاً للحل الإيراني في الشام

**أحمد موفق زيدان – موقع الخليج العربي ٢٠١٧/٢/٢٢**

---

**لخّص العميد حسين همداني قائد الحرس الثوري الإيراني إلى الشام عام ٢٠١٢ في مذكراته** التي ألقاها على الصحافي الإيراني علي بابايي في كتابه الذي حمل عنوان «رسائل الأسماك» صدرت أخيراً الاستراتيجية الإيرانية في الشام حين قال إنها كانت تهدف إلى إنشاء مليشيات دفاع وطني بعد أن رفض الجيش الأسدي التعاون معه ومع غيره من الإيرانيين، فالإيراني أدرك تماماً منذ الحرب الأميركية ـ الإيرانية على العراق أن بقاء الجيش العراقي على حاله يعني أن ولاءه سيظل لغيرهم، ومع كل الطائفية التي يتمتع بها الجيش الأسدي إلا أن عقيدته العسكرية لا تزال روسية بامتياز وبالتالي لن يكون بمقدور طهران تغيير تلك العقيدة بين ليلة وضحاها، فلجأت إلى فكرة إنشاء المليشيات الطائفية وتمزيق الجيش الأسدي للنفاذ إلى صنع القرار الحقيقي، وتشكيل

مليشيات طائفية بحمض نووي إيراني بامتياز، تماماً كما فعلت من قبل في العراق واليمن ووو...

**الاستراتيجية الإيرانية** إذن تعتمد على إنشاء مليشيات طائفية وهو ما برع فيه الفرس وهو ما يذكره ابن تيمية في كتبه من أن الفرس كانوا يسعون إلى الاعتماد على المرتزقة من المليشيات الأجنبية وهو أمر غير مكلف جسدياً ولا مالياً فضلاً عن كلفته في مجال العلاقات الدولية هذه الأيام، ولذا رأينا الاستراتيجية الإيرانية هذه في العراق عبر تأسيس عشرات المليشيات الطائفية وذلك لسهولة التحكم فيها وعدم تقوية مليشيا واحدة قادرة مستقبلاً على التمرد عليها، وهو ما حصل في اليمن ولكن نظراً للظروف الخاصة فقد كانت مليشيات الحوثي وحيدة فريدة في الميدان قد يكون ساعدها على ذلك بعدها الجغرافي عن إيران وهو ما يقلل من خطورة الانقلاب عليها، ونفس الأمر حصل في أفغانستان إذ أنها سعت إلى تشكيل مليشيات طائفية تحت عنوان فاطميون الأفغاني.

**الاستراتيجية الروسية** على ما يبدو توصلت إلى قناعة راسخة باستحالة الحسم العسكري في الشام على يد العصابة الطائفية وهو الأمر الذي يزعج الإيرانيون تماماً لأن الهدف الذي جاؤوا من أجله في عام ٢٠١٢ قد انهار تماماً وبالتالي فإن التركة الشامية قد يتم تقاسمها بين الأتراك والروس، وهو الأمر الذي سيحجم الدور الإيراني وسيدفع بطهران إلى الملعب العراقي لاسيما بعد الحديث المتكرر عن مواجهة إيرانية ــ أميركية في اليمن وباب المندب وتصريحات مسؤولين غربيين وغيرهم من أن السنة الحالية سنة حل للأزمة اليمنية، تزامن هذا مع اتصالات بين فصائل للجيش الحر مع حزب الله عن سماحه للاجئين في لبنان من العودة إلى القلمون وهو مطلب غريب عجيب، لا يفهم إلا في سياق التراجع الإيراني والطائفي في الشام..

**فكرة المليشيات الطائفية في الشام لم تنجح على ما يبدو في حسم الخيار الإيراني**، وبالتالي فإن الحل الإيراني لم يعد مطروحاً على ما يبدو، وبات المطروح هو الحل الروسي الذي يسعى إلى تقوية العصابة الطائفية وإيجاد خلطة بين المعارضة والعصابة الطائفية، وإن كان هذا غير ممكن التحقيق في ظل بحور الدماء وبحور المهاجرين والمشردين الذين لا يمكن لهم أن يعودوا إلى الوطن ما لم يضمنوا حلاً كريماً يحفظ لهم كرامتهم وعزتهم ويحول دون الفتك والبطش بهم مستقبلاً كعادة العصابة الطائفية ...

**تدرك إيران تماماً أن قوتها وسطوتها في الفوضى وخلقها وديمومتها**، وليس في الاستقرار واستتبابه، ولذا فهي تسعى إلى إطالة أمد الحرب والفوضى إلى أقصى ما تستطيع، فهي غير معنية بمعادلة الاستقرار والسلام، وإنما معنية بمعادلة الفوضى والحرب وهو ما يظهر جلياً في المناطق التي تغزوها وتحتلها ..




# السجل الأسود لأبرز إرهاب وجرائم الشيعة العرب

| الدولة | ١٩٨٠-١٩٨٩ | ١٩٩٠-١٩٩٩ | ٢٠٠٠-٢٠٠٩ | ٢٠١٠-٢٠١٦ |
|---|---|---|---|---|
| البحرين | محاولة انقلاب | أعمال متكررة من الفوضى والشغب وحرق للممتلكات العامة والخاصة. محاولة انقلاب. | | محاولة انقلاب تحت غطاء الربيع العربي. الاعتداءات المتكررة على الشرطة. ضبط "سرايا الأشتر" التابعة لإيران |
| السعودية | - تفجير منشآت للبتروكيماويات في مدينة الجبيل | | دعم الحوثيين بالمال للانقلاب على الدولة | اعتداءات متكررة على الشرطة |
| لبنان | حصار وإنهاء المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان. تدريب جزائريين من أتباع مصطفى بويعلي الذين دخلوا في صدام مع نظام الشاذلي. اغتيال عدة دبلوماسيين سعوديين بأنقرة وتايلاند. تدريب مؤسسي حزب الله الحجاز للقيام بأعمال إرهابية ومدّهم بالمتفجرات لتنفيذ تفجير الجبيل. اغتيال بعض رجالات الجيش اللبناني: العقيد سليمان المظلوم، والملازم أول جورج شمعون ثم العقيد ميشيل زيادة والنقيب كاظم درويش. اغتيال عدد من الصحفيين اللبنانيين: سهيل طويلة ثم خليل نعوس وميشيل واكد ونور طوقان وحسين مروة ومهدي عامل | تدريب أعضاء من جماعة الجهاد المصرية. تدريب فصائل جزائرية. إرهابية مثل "الجيا" و"الفيدا" و"حزب الله الجزائري". اغتيال أربعة دبلوماسيين سعوديين في تايلاند. عماد مغنية يلتقي أسامة بن لادن ويتفقان على تدريب أعضاء القاعدة بمعسكرات إيرانية بالسودان وإيران ولبنان. زراعة وتهريب المخدرات. تدريب وتزويد حزب الله السعودي على تنفيذ تفجير الخبر بالسعودية. حماية وإخفاء أحمد المغسل قائد حزب الله الحجاز والمسؤول عن عدة عمليات إرهابية لسنوات طويلة. | اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري<br>اجتياح العاصمة بيروت ورفض سيطرة الدولة والجيش على المطار<br>قبض السلطات في القاهرة على خلية تابعة لحزب الله<br>مهاجمة وتخريب مقر قناة وصحيفة المستقبل<br>إسقاط الحزب طائرة هليكوبتر للجيش اللبناني وقتل قائدها النقيب الطيار سامر حنا | قتل وإبادة ضد الشعب السوري الثائر. اغتيال العميد وسام الحسن، رئيس شعبة المعلومات بالأمن الداخلي. مهاجمة مقر تلفزيون الجديد. مهاجمة مكتب قناة الجزيرة. حصار وتجويع وقتل الفلسطينيين في مخيم اليرموك. القبض على عناصر من حزب الله في خليتين إرهابيتين في الرياض وجدة. السلطات الكويتية تضبط خلية إرهابية تابعة لحزب الله اللبناني. إرسال مدربين عسكريين. لتدريب ميليشيا الحوثيين على أعمال إرهابية. تفجير فرع "بنك لبنان والمهجر" ببيروت |
| الكويت | - محاولة اغتيال أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد<br>- تنفيذ عدة تفجيرات في مكة ضد الحجاج<br>- تفجير مقاهٍ شعبية - خطف طائرتين كويتيتين | | تخريب مكتب قناة إم بي سي<br>دعم الحوثيين بالمال للانقلاب على الدولة | المشاركة في قتل الثوار والشعب السوري.<br>ضبط خلية العبدلي التي تمتلك أطنان المتفجرات. |
| العراق | تفجير حفل طلابي في جامعة المستنصرية. تفجير السفارة العراقية ببيروت. تفجير وزارة التخطيط ببغداد بسيارة مفخخة. مهاجمة أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد. استهداف أنابيب النفط العراقي. مشاركة إيران في حربها على العراق | | شن حرب إبادة طائفية وفرق موت ضد السنة شملت قطع الرؤوس وحرق الجثث. تدمير ومصادرة مساجد ودائرة الوقف السني. قتل وتهجير الفلسطينيين السنة في بغداد. اغتيال أكثر من ٤٠٠ ضابط وطيار عراقي ممّن شاركوا بالحرب ضد إيران. | قتل وإبادة ضد الشعب السوري الثائر. قيام نوري المالكي بتهريب قيادات القاعدة من سجون بغداد، ثم تسليم مدينة الموصل لداعش. إنشاء الحشد الشعبي الذي قام بالكثير من الجرائم الطائفية |
| اليمن | | | خوض عدة حروب مع الدولة. دعم الحوثيين للقاعدة في اليمن | الاستيلاء على الدولة بانقلاب عسكري. تفجير مساجد في دماج وذمار وعمران. رفض إصدار بيان يدين القاعدة في مفاوضات الكويت. قتل الناس جوعا ومرضا بحصار المدن كتعز وغيرها |





